الإمارات تطالب بإعلام دولي يفهم السياق المحلي

ص5

فوزي البنزرتي يطرق باب العودة إلى الدوري الليبي

ص11

المغرب في مواجهة بيغاسوس وبروباغندا التضليل الرقمي

ص3

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الأربعاء 2026/07/22 - 08 صفر 1448

السنة 49 العدد 13867

Wednesday 22/07/2026

49th Year, Issue 13867

www.alarab.co.uk

وساطة جديدة بين واشنطن وطهران تمنح الدبلوماسية فرصة أخيرة

مضيق هرمز.. العقدة الرئيسية على طاولة التفاوض

واشنطن - لم تعد الوساطة الجديدة بين الولايات المتحدة وإيران مجرد محاولة لوقف إطلاق النار، بقدر ما تعكس اعترافا ضمنيا بأن المواجهة العسكرية بلغت حدود ما تستطيع تحقيقه سياسيا. فبعد أسابيع من الضربات المتبادلة وتعاظم المخاطر على أمن الطاقة العالمي، باتت الدبلوماسية تعود مدفوعة ليس برغبة الأطراف في التسوية، وإنما بإدراكها أن كلفة استمرار الحرب أصبحت أعلى من مكاسبها المحتملة. ومن هنا يتحول مضيق هرمز، الذي كان عنوانا للتصعيد، إلى الملف الأكثر حساسية على طاولة التفاوض، باعتباره النقطة التي تتقاطع عندها المصالح الأمنية والاقتصادية والإستراتيجية لجميع الأطراف.

وتراهن الدول الوسيطة على أن تمنح هذه الهدنة المؤقتة الطرفين فرصة لإعادة تقييم خياراتهما، في وقت تتزايد فيه كلفة المواجهة سياسيا واقتصاديا وعسكريا على جميع الأطراف، بينما تتراجع تدريجيا فرص تحقيق مكاسب حاسمة عبر الخيار العسكري وحده.

وبحسب ما كشفه مصدر إقليمي لموقع "أكسيوس"، فإن المبادرة التي شاركت في بلورتها كل من قطر ومصر وباكستان، إلى جانب وسطاء آخرين، لا تقتصر على وقف العمليات العسكرية، بل تتضمن إطلاق مفاوضات مكثفة بشأن أبرز نقاط الخلاف، وفي مقدمتها مستقبل الملاحة في مضيق هرمز، الذي تحول إلى العقدة الرئيسية في الأزمة بين واشنطن وطهران.

المبادرة تقوم على منح الطرفين فترة تهدئة قصيرة يجري خلالها تثبيت وقف إطلاق النار وتهيئة الأجواء لإجراء مفاوضات

ويعكس توقيت المبادرة إدراكا متزايدا لدى القوى الإقليمية بأن استمرار المواجهة المفتوحة يحمل مخاطر تتجاوز حدود الصراع الثنائي، إذ يهدد أمن الطاقة العالمي، ويزيد احتمالات انخراط أطراف إقليمية أخرى، فضلا عن انعكاساته على الاقتصاد الدولي وأسواق النفط.

هدنة العشرة أيام.. نافذة لاختبار النوايا

ولا تبدو هذه الوساطة منفصلة عن التحولات التي فرضتها الأسابيع الأخيرة، إذ أظهرت المواجهة أن قدرة الولايات المتحدة على مواصلة الضغط العسكري لا تعني بالضرورة قدرتها على فرض تسوية بشروطها، كما أن إيران، رغم احتفاظها بأوراق ضغط مؤثرة، اكتشفت أن استمرار سياسة حافة الهاوية يهدد بتوسيع عزلتها الاقتصادية واستنزاف أدوات نفوذها الإقليمية. لذلك باتت الحاجة إلى مخرج تفاوضي تمثل مصلحة مشتركة، حتى وإن ظل كل طرف يحرص على تقديمها بوصفها انتصارا لموقفه.

وتقوم المبادرة على منح الطرفين فترة تهدئة تمتد عشرة أيام، يجري خلالها تثبيت وقف إطلاق النار وتهيئة الأجواء لإجراء مفاوضات مباشرة أو غير مباشرة، مع التركيز على صياغة ترتيبات جديدة لإدارة الملاحة في مضيق هرمز بما يحقق توازنا بين متطلبات الأمن البحري ومصالح إيران الاقتصادية.

ويكشف إدراج مضيق هرمز في صلب المبادرة عن تحول مهم في طبيعة الخلاف بين الجانبين. فالمسألة لم تعد تقتصر على البرنامج النووي أو العقوبات الاقتصادية، بل أصبحت مرتبطة بإعادة تعريف قواعد إدارة أحد أهم الممرات البحرية في العالم. فواشنطن تريد ضمان حرية الملاحة دون الاعتراف بأي نفوذ إيراني استثنائي، بينما تسعى طهران إلى ترجمة موقعها الجغرافي إلى مكاسب اقتصادية وسياسية تمنحها اعترافا غير مباشر بدورها في أمن الخليج.

ومن بين الأفكار المطروحة، السماح لطهران بالحصول على عائدات مقابل خدمات تقدمها للسفن العابرة، تشمل حماية البيئة البحرية وخدمات الإنقاذ والإرشاد والدعم اللوجستي، بدلا من فرض رسوم عبور مباشرة قد تُعد مخالفة لقواعد الملاحة الدولية. ويستند هذا التصور إلى نماذج مطبقة في مضيق ملقا، حيث تتقاضى ماليزيا وإندونيسيا وسنغافورة رسوما مقابل خدمات محددة تقدمها للسفن.

غير أن تطبيق مثل هذا النموذج في مضيق هرمز يظل أكثر تعقيدا من مضيق ملقا، لأن الخلاف لا يدور حول إدارة ممر تجاري فحسب، بل حول توازنات القوة في الخليج. ولذلك فإن أي صيغة تمنح إيران دورا اقتصاديا ستكون مرتبطة في المقابل بضمانات أمنية وآليات رقابة تمنع تحويل هذا الدور إلى أداة ضغط سياسية مستقبلا.

وتشير هذه الصيغة إلى محاولة إيجاد مخرج يحفظ ماء وجه جميع الأطراف؛ فهي تمنح إيران موردا اقتصاديا مشروعا، وتجنب الولايات المتحدة والدول الغربية الاعتراف بأي سيطرة إيرانية على أحد أهم الممرات البحرية في العالم، بما يسمح للطرفين بتسويق أي تفاهم داخليا باعتباره مكسبا سياسيا لا تنازلا إستراتيجيا.

وتأتي هذه الوساطة في وقت لم تحسم فيه إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب خياراتها النهائية. فداخل واشنطن يدور نقاش بين اتجاه يدعو إلى استثمار الضغوط العسكرية الحالية لدفع إيران نحو اتفاق جديد، واتجاه آخر يرى أن استمرار العمليات قد يؤدي إلى توسيع الحرب دون تحقيق أهداف إستراتيجية حاسمة، ما يجعل منح الدبلوماسية فرصة جديدة خيارا أقل كلفة.

ويبدو أن النقاش داخل الإدارة الأميركية لم يعد يدور حول المفاضلة بين الحرب والتفاوض، بقدر ما يتعلق بكيفية توظيف الضغط العسكري لتحسين شروط أي اتفاق مقبل.

امتناع إسرائيل عن ضرب إيران خيار ذاتي أم ضغط أميركي

تل أبيب - تسلط التطورات المتسارعة في المواجهة الأخيرة بين واشنطن وطهران الضوء على التحولات الجوهرية في سلوك الفاعلين الإقليميين والدوليين، ولاسيما المقاربة الإسرائيلية المستجدة تجاه المواجهة المباشرة الدائرة حاليا.

وتكشف التصريحات الأخيرة لوزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريش، عن تحول لافت في الخطاب السياسي والعسكري الإسرائيلي، إذ أعلن بوضوح أن تل أبيب "لا ترغب في الوقت الحالي بالانضمام إلى الحملة الأميركية الحالية على إيران".

يطرح هذا الموقف المفاجئ من رجل محسوب على اليمين المتطرف في الائتلاف الحكومي، وتأكيده أن المصلحة الإسرائيلية تقتضي عدم التورط المباشر في الصراع مع البقاء على أهبة الاستعداد، نقاط استفهام حول دوافع هذا الاعتكاف المؤقت: هل يعكس الموقف رغبة ذاتية لتل أبيب، أم أنه نتاج تحفظات وضغوط أميركية صارمة فضلت رسم خطوط فاصلة بين الأهداف المباشرة لواشنطن والأجندة الإقليمية لإسرائيل؟

تبدأ قراءة هذا المشهد من تفكيك طبيعة التصريحات ذاتها، حيث يسعى سموتريش إلى بلورة إطار يتجاوز التكتيك العسكري المباشر نحو تحديد الهدف الكلي لتل أبيب، والمتمثل في "تقويض النظام الإيراني وإضعافه"، ولكنه يربط هذا الهدف بشرط الجدوى والاستقلالية، مشيراً إلى أن ذلك "ليس بالضرورة أن يكون بالاشتراك المباشر مع الولايات المتحدة".

ويحاول الخطاب الرسمي الإسرائيلي إظهار النأي بالنفس على أنه اختيار استراتيجي حكيم مبني على تقييم للمصلحة الذاتية. فمن منظور الحسابات الداخلية لتل أبيب، حققت المواجهتان السابقتان ضد طهران أهدافاً مهمة يتعلق بعضها بإضعاف البنية التحتية والقيادية. وعليه، ترى المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أن ترك الإدارة الأميركية تخوض مواجهتها الراهنة منفردة لحماية حرية الملاحة البحرية وضمان الأمن في مضيق هرمز يوفر لإسرائيل مكاسب مجانية تتمثل في استنزاف قدرات طهران وتعميق عزلتها، دون تكبد أعباء المبادرة أو تحمل الكلفة العسكرية والسياسية المباشرة لردود الفعل الإيرانية المضادة.

تتقاطع هذه الرغبة الذاتية الحذرة مع فرضية قوية أخرى تشير إلى وجود تحفظات أميركية واضحة تحبذ قيادة الحملة الحالية بمعزل عن الانخراط الإسرائيلي العلني. وترغب واشنطن في إعطاء هذه الجولة العسكرية طابعا دوليا وإقليمياً ينحصر في حماية التجارة البحرية والرد على الاستهدافات المباشرة للمنشآت والسفن؛ وهو أفق قد يختل توازنه مجدداً في حال دخول إسرائيل طرفا مباشراً في القصف والعمليات الميدانية. وتعلم الإدارة الأميركية أن مشاركة تل أبيب قد تمنح طهران ذريعة لتوسيع نطاق المواجهة ليشمل استهداف العمق الإسرائيلي والمصالح الحيوية بشكل يستدعي حرباً إقليمية شاملة لا تصب في صالح الرؤية الأميركية لإدارة الصراع. وبذلك، تشير القراءة التحليلية لسياق الأحداث إلى أن الامتناع الإسرائيلي ليس مجرد خيار محلي خالص، بل هو نتاج تفاهمات ضمنية أو ضغوط صريحة مارستها الإدارة الأميركية لتقييد حجم ونوعية المشاركة الإسرائيلية، لضمان التحكم في إيقاع التصعيد وتفادي خروج الأزمة عن السيطرة.

تستعرض الحسابات الإستراتيجية الإسرائيلية أيضاً استنزاف الجبهة الداخلية والقدرات الدفاعية بعد عدة جولات من الصراع المباشر والحروب متعددة الجبهات.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

خليل الحية... هل هو الرجل المناسب في الوقت المناسب؟

في مشهد يعكس قدرة حركة حماس على إعادة تنظيم صفوفها رغم سلسلة الاغتيالات التي استهدفت قياداتها، انتُخب خليل الحية رئيسًا للمكتب السياسي خلفًا ليحيى السنوار، عبر عملية داخلية وصفتها الحركة بأنها "مسار شورى مؤسسي". هذا الانتخاب يأتي في لحظة فارقة للقضية الفلسطينية، حيث تتقاطع حسابات التهدئة مع احتمالات التصعيد، ويثير سؤالًا جوهريًا: هل يشكّل الحية مدخلًا لمرحلة تفاوضية جديدة، أم أنه سيعزز ارتباط الحركة بمحور إيران ويُضعف فرص التسوية الشاملة؟

خليل الحية، البالغ من العمر 64 عاما والمقيم في الدوحة، ليس قادما من فراغ. فهو أحد مؤسسي حماس منذ انطلاقتها عام 1987، وشغل منصب نائب رئيس الحركة في قطاع غزة، وعضوية مكتبها السياسي. غير أن ما يميزه عن غيره هو تراكم خبرة تفاوضية لافتة، إذ قاد وفود الحركة في محادثات التهدئة مع إسرائيل منذ عام 2012، وصولا إلى مفاوضات وقف إطلاق النار خلال حرب 2023، والتي أفضت إلى اتفاق بوساطة أميركية في أكتوبر 2025. هذه الخبرة الطويلة جعلت منه الشخصية الأكثر دراية بتعقيدات الملف التفاوضي، وهو ما يفسر ثقة الحركة في تكليفه بهذا المنصب في أكثر مراحل الصراع حساسية وتعقيدا.

الوجه التفاوضي للحيّة لا يحجب علاقاته الوثيقة بإيران، التي تعتبر أحد مصادر التمويل والتسليح الرئيسية للحركة. فقد رافق الحية إسماعيل هنية في زيارته الأخيرة إلى طهران قبيل اغتياله، وشارك في حفل تنصيب الرئيس الإيراني، في مشهد غاب عنه خصمه خالد مشعل. كما قاد عام 2022 وفدا إلى دمشق لإصلاح العلاقة مع النظام السوري، في خطوة عززت موقع حماس داخل المحور الإيراني. هذا الارتباط المزدوج يشكل جوهر المفارقة في شخصية الحية؛ فهو من جهة الرجل الذي يستطيع الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع الوسطاء الدوليين، ومن جهة أخرى هو جزء من منظومة إقليمية مناهضة لإسرائيل والولايات المتحدة، مما يجعله شخصية ينظر إليها كل من طهران وتل أبيب بعين مختلفة تماما.

ويضاف إلى ذلك أن الحية يحظى بثقة النخب العسكرية للحركة، وهو ما يمنحه شرعية داخلية تفوق ما قد تتمتع به شخصيات أخرى قد تكون أكثر ميلاً للانفتاح السياسي. هذه الشرعية المزدوجة –السياسية والعسكرية– تعني أن أي اتفاق قد يوقعه سيكون ملزما للحركة من الداخل، مما يعزز فرص نجاح أي مسار تفاوضي جاد.

لا يمكن إنكار أن الحية يمتلك أوراقا قد تسهل مسارا تفاوضيا جديدا. فإقامته في الدوحة تمنحه حركة وحضورا في مراكز القرار الإقليمي والدولي، بعيدا عن قيود الحصار في غزة. خبرته الطويلة في إدارة ملفات معقدة أثبتت قدرته على التعامل مع وسطاء مثل قطر ومصر والولايات المتحدة، وهو ما قد يفتح نافذة لتهدئة جديدة خصوصا إذا استثمر علاقاته مع هذه الأطراف. وقد أثبتت مفاوضات أكتوبر 2025، التي قادها بنفسه وأفضت إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، أنه قادر على تحويل اللحظات الحرجة إلى فرص تفاوضية، وإن كانت هذه الفرص تظل مرهونة بموازين القوى في الميدان.

انتخابه عبر عملية داخلية، رغم الظروف الصعبة، يعكس تماسكا تنظيميا يمنحه شرعية تمثيلية أمام المجتمع الدولي. الحركة التي تفقد قادتها تباعا، وتمارس إسرائيل سياسة الاغتيال التي طالت حتى نجليه همام وعزام في غارات منفصلة، تثبت أن هيكلها التنظيمي قادر على تجاوز الضربات الموجعة، وأن الحية سيحظى بدعم داخلي يمكّنه من التفاوض باسم الحركة. وهذا يمنحه قوة دبلوماسية لا يستهان بها، خاصة في ظل حاجة كل من واشنطن والدوحة والقاهرة إلى طرف فلسطيني موحد وقادر على الالتزام.

يجمع الحية بين خبرة تفاوضية وارتباط وثيق بمحور إيران ما يجعله قادرا على فتح قنوات تفاوض أو تعميق المواجهة

غير أن الصورة ليست وردية تماما. ففي إسرائيل يُنظر إلى الحية باعتباره شخصية متشددة، أقرب إلى إيران منها إلى الحكومات العربية. علاقاته الوثيقة مع طهران، ومشاركته في إحياء العلاقة مع دمشق، تجعلان منه جزءا من معادلة إقليمية أوسع، قد تُفسر تحركاته كجزء من أجندة تصعيدية وليست تسويات سياسية. هذه الصورة قد تدفع القوى الغربية للتعامل معه بحذر، وتُعقد فرص التوصل إلى تسوية سياسية شاملة، خاصة أن الحركة تصر على مواقفها المتعلقة بحقوق الفلسطينيين غير القابلة للتفاوض ورفض مخططات التهجير، وهو ما يمثل حجر عثرة أمام أي تقدم سياسي حقيقي.

ومما يزيد المخاوف أن إسرائيل قد تنظر إلى الحية باعتباره امتدادا للسنوار وهنية في التصعيد، وهو ما قد يدفعها إلى تبني نهج أمني مشدد بدلا من الانخراط في مفاوضات سياسية. ففي الماضي كانت إسرائيل تميل إلى تصنيف قادة حماس حسب قربهم من إيران، وهو ما قد يضع الحية في خانة الأعداء الذين لا يمكن التفاوض معهم، ويضيق هامش المناورة الدبلوماسية للوسطاء.

كما أن تجارب التهدئة السابقة لا تبعث على التفاؤل المطلق؛ فرغم مشاركة الحية في محاولات عديدة لوقف إطلاق النار، فإن استمرار الضربات الإسرائيلية يثير تساؤلات حول قدرته على ضمان استقرار طويل الأمد.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

لماذا يُعد إرسال قوات سورية إلى لبنان لقتال حزب الله فكرة خطيرة؟

مقترح ترامب يحيي هواجس الوصاية السورية على لبنان

يفتح مقترح ترامب بإسناد مهمة مواجهة حزب الله إلى القوات السورية نقاشاً يتجاوز الخيارات العسكرية إلى إعادة طرح سؤال قديم عن حدود الدور السوري في لبنان. فالمشكلة لا تكمن في هوية القوة التي ستواجه الحزب، بقدر ما تكمن في أن أي وجود عسكري سوري، مهما كانت مبرراته، يصطدم بذاكرة لبنانية مثقلة بإرث الوصاية.

دمشق وإدارة التوازنات الداخلية اللبنانية

بيروت - رغم أن الرئيس السوري أحمد الشرع سبق أن استبعد فكرة إرسال قوات سورية إلى لبنان، فإن مجرد تداول هذا السيناريو يعكس التحولات التي تشهدها المنطقة، كما يثير تساؤلات بشأن طبيعة الدور الذي قد تضطلع به دمشق في النظام الإقليمي الجديد، وحدود قبول اللبنانيين بعودة أي حضور عسكري سوري إلى أراضيهم.

وتنبع حساسية هذا الطرح من أن لبنان لا ينظر إلى أي انتشار عسكري سوري باعتباره خطوة أمنية معزولة، بل يربطه مباشرة بتجربة بدأت عام 1976 مع دخول القوات السورية تحت مظلة "قوات الردع العربية" التي أُنشئت لوقف الحرب الأهلية، غير أن هذا الوجود تحول تدريجياً إلى نفوذ عسكري وسياسي استمر حتى عام 2005، وأصبح أحد أبرز العوامل المؤثرة في الحياة اللبنانية طوال تلك المرحلة.

وخلال تلك السنوات، لعبت دمشق دوراً مباشراً في إدارة التوازنات الداخلية اللبنانية، وتعرضت أجهزتها الأمنية والعسكرية لاتهامات واسعة بالتدخل في الحياة السياسية وارتكاب انتهاكات بحق مواطنين لبنانيين.

ولذلك، فإن فكرة عودة الجيش السوري، حتى وإن جاءت في إطار مهمة محددة ضد حزب الله، ستُقرأ لدى شريحة واسعة من اللبنانيين باعتبارها استعادة لمرحلة يعتقد كثيرون أنها انتهت بانسحاب القوات السورية قبل أكثر من عقدين.

ولا تقتصر المخاوف على البعد التاريخي، بل تمتد إلى طبيعة النظام اللبناني القائم على توازنات طائفية وسياسية شديدة الحساسية، حيث يمكن لأي تدخل عسكري خارجي أن يعيد خلط هذه التوازنات.

ويزداد الأمر تعقيداً عندما يكون الطرف المتدخل هو سوريا، التي لا تزال ترتبط بعلاقات متشابكة مع مختلف القوى اللبنانية على المستويات السياسية والطائفية والأمنية.

كما أن شخصية الرئيس السوري أحمد الشرع تضيف بعداً آخر للنقاش. فالشرع يحظى بتأييد داخل بعض الأوساط السنية في لبنان، ولاسيما في مدينة طرابلس، بينما يمثل حزب الله القوة السياسية والعسكرية الأبرز داخل البيئة الشيعية.

> **أي مواجهة بين سوريا وحزب الله قد تهدد بإعادة إنتاج انقسامات طائفية لطالما سعى لبنان إلى احتوائها**

وبالتالي، فإن أي مواجهة مباشرة بين الجيش السوري والحزب قد لا تبقى ضمن إطارها العسكري، بل قد تتحول إلى عامل يزيد من حدة الاستقطاب المذهبي، ويهدد بإعادة إنتاج انقسامات لطالما سعى لبنان إلى احتوائها.

ويتعزز هذا الاحتمال بسبب الإرث الثقيل للعلاقة بين القوى التي تقود سوريا الجديدة وحزب الله. فقد كان الحزب أحد أبرز الداعمين العسكريين لنظام بشار الأسد طوال سنوات الحرب السورية، وشارك في معارك مفصلية ضد الفصائل المسلحة التي خرج منها عدد من المسؤولين الحاليين في دمشق.

ومن ثم، قد يُنظر إلى أي تدخل عسكري سوري ضد الحزب باعتباره امتداداً لصراع قديم أو محاولة لتصفية حسابات تراكمت خلال سنوات الحرب، أكثر من كونه عملية تستهدف تحقيق الاستقرار في لبنان.

وإلى جانب الاعتبارات السياسية والطائفية، تبرز تساؤلات حول قدرة سوريا نفسها على تنفيذ مثل هذه المهمة. فالجيش السوري لا يزال في مرحلة إعادة البناء بعد سنوات الحرب، فيما تواجه البلاد تحديات اقتصادية وأمنية كبيرة، فضلاً عن استمرار الحاجة إلى إعادة هيكلة المؤسسة العسكرية وبسط سلطة الدولة على كامل أراضيها.

وفي ظل هذه الظروف، يبدو الانخراط في عملية عسكرية خارج الحدود خياراً يفرض أعباء إضافية على دولة ما زالت منشغلة بإعادة ترتيب أوضاعها الداخلية.

كما أن تركيبة المؤسسة العسكرية السورية الحالية تثير بدورها نقاشاً واسعاً، في ظل وجود تشكيلات متعددة الخلفيات داخلها، بعضها يحمل توجهات أيديولوجية متشددة.

ويرى مراقبون أن هذا الواقع يزيد من صعوبة تنفيذ عمليات دقيقة في بيئة معقدة مثل لبنان، حيث يتداخل البعد الأمني مع الاعتبارات الطائفية والسياسية، ويصبح أي خطأ ميداني قابلاً للتحول إلى أزمة داخلية وإقليمية.

ومن جهة أخرى، لا يبدو أن استبدال العمليات الإسرائيلية بعمليات سورية سيغير كثيراً من تعقيدات المشهد. فحزب الله يعتمد منذ سنوات على بنية عسكرية منتشرة داخل مناطق مأهولة بالسكان، الأمر الذي يجعل أي عمل عسكري ضده محفوفاً بخطر وقوع خسائر مدنية، بصرف النظر عن الجهة التي تنفذه.

ولذلك، فإن الحديث عن قدرة القوات السورية على تحقيق مستوى أعلى من الدقة يبقى افتراضاً يصعب إثباته عملياً.

وإقليمياً، قد يفتح أي انتشار عسكري سوري في لبنان الباب أمام إعادة رسم موازين القوى في المشرق العربي. فمثل هذه الخطوة قد تُفسَّر باعتبارها عودة للدور السوري التقليدي في لبنان، وهو ما قد يثير تحفظات لدى قوى إقليمية ودولية ترى أن استقرار لبنان يمر عبر تعزيز مؤسسات الدولة اللبنانية، لا عبر إحياء أدوار عسكرية خارجية.

أما داخلياً، فمن المرجح أن يؤدي مجرد طرح الفكرة إلى انقسام سياسي واسع. فالقوى التي عارضت الوجود السوري سابقاً قد تعتبرها محاولة لإحياء الوصاية السورية بصيغة جديدة، بينما قد تنظر إليها أطراف أخرى من زاوية الحسابات الأمنية. غير أن القاسم المشترك بين مختلف المواقف يبقى الخشية من أن يؤدي أي وجود عسكري سوري جديد إلى إعادة فتح ملفات الماضي بدلاً من الإسهام في معالجة أزمات الحاضر.

ولا يتعلق مقترح ترامب بإيجاد بديل عسكري لمواجهة حزب الله بقدر ما يعكس تصوراً جديداً لإعادة توزيع الأدوار الأمنية في المشرق. غير أن خصوصية الحالة اللبنانية تجعل من الصعب التعامل مع هذا الطرح بمنطق عسكري بحت، لأن ذاكرة اللبنانيين ما زالت تختزن إرث ثلاثة عقود من الوجود السوري، فيما تجعل التوازنات الطائفية والسياسية الحالية أي تدخل خارجي مغامرة قد تتجاوز كلفتها السياسية والأمنية أي مكاسب عسكرية محتملة.

سوريا تعد خطة لإصلاح المنظومة المالية وتتبع الأموال المشبوهة

دمشق - أطلقت السلطات السورية بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ورشة عمل لإعداد إستراتيجية وطنية متكاملة لمكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب والحد من انتشار التسلح، في خطوة تستهدف تعزيز سيادة القانون وتحديث المنظومة المالية في البلاد.

وتندرج الخطوة في إطار مساع حثيثة تبذلها الهيئات المختصة لإحداث إصلاحات هيكلية تتماشى مع المتطلبات الدولية وتستجيب للتحديات الاقتصادية والأمنية الراهنة. ويشكل تنظيم ورشة العمل المتخصصة بمشاركة واسعة من الوزراء والمسؤولين والخبراء الدوليين دلالة واضحة على الإرادة الجادة لبناء بيئة مالية آمنة وشفافة، تضع حدا للممارسات غير المشروعة التي أضرت بالاقتصاد السوري على مدى عقود طويلة، وتفتح الباب أمام اندماج أوسع في المنظومة الاقتصادية العالمية.

وتسعى الإستراتيجية الوطنية الجديدة إلى مطابقة الأنظمة واللوائح المحلية مع المعايير والتوصيات الصادرة عن مجموعة العمل المالي الدولية (فاتف)، وهي الخطوة الأبرز التي تهدف من خلالها سوريا إلى تسريع الخروج من "القائمة الرمادية" للدول الخاضعة لمراقبة مشددة.

وتتطلب هذه العملية جهدا مكثفا لمعالجة أوجه القصور والثغرات التي شابت المنظومة المالية السابقة، حيث تعمل هيئة مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب على قيادة هذا المسار الإصلاحي بالتنسيق مع مختلف المؤسسات الرقابية والقضائية والأمنية.

ويرى القائمون على هذه المبادرة أن الالتزام بمتطلبات "فاتف" لا يقتصر على كونه مجرد إجراء شكلي لاستيفاء معايير خارجية، بل يُعد ركنا أساسيا لحماية مقدرات البلاد المالية، وضمان عدم استغلال القنوات المصرفية والتجارية في أنشطة تشكل خطرا على الأمن القومي والإقليمي.

ويجمع هذا المشروع الوطني عددا من الجهات الحكومية الفاعلة، بمشاركة وزراء الداخلية والعدل والمالية والاقتصاد والصناعة والاتصالات، وهو ما يعكس الشمولية والتعاون المؤسسي المستمر لضمان نجاح الخطة.

وتتوزع الأدوار التنفيذية بين هذه الوزارات لضمان تغطية كافة أبعاد الجريمة المالية؛ بدءًا من الملاحقة الميدانية للشبكات الإجرامية وتطوير وحدات البحث والتحري، ومرورًا بتفعيل الأطر القانونية وتطوير قدرات النيابة العامة والقضاء، ووصولًا إلى تحديث الشؤون المصرفية والمالية وتطوير البنية التحتية التكنولوجية والاتصالات بما يسمح بالربط الإلكتروني السريع والمباشر بين وحدة الاستخبارات المالية والجهات الرقابية.

وقال الممثل المقيم بالإنابة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في سوريا روحي الأفغاني إن الإستراتيجية الجاري العمل على إعدادها تأتي ضمن أولويات البلاد الجديدة، عقب أكثر من عقد من العزلة المالية.

وأضاف أن سوريا تشهد رفعا تدريجيا لمعظم العقوبات الدولية، إلى جانب ظهور مؤشرات مبكرة على التعافي الاقتصادي. وبيّن الأفغاني أن الإستراتيجية تشكل إطارا لإعادة توجيه التدفقات المالية نحو القنوات الرسمية، وبناء نظام مالي شفاف يحظى بالثقة الوطنية والدولية، بما يعزز مسار الخروج من "القائمة الرمادية".

وتركز الجهود الراهنة بشكل أساسي على استكمال الإصلاحات التشريعية والفنية وإعادة هيكلة أدوات الرقابة، بما يتيح الكشف المبكر عن المعاملات المشبوهة وتتبع التدفقات المالية غير المشروعة.

روحي الأفغاني

الإستراتيجية تشكل إطارا لإعادة توجيه التدفقات المالية

ويتضمن هذا التوجه تمكين وحدة الاستخبارات المالية وتزويدها بالتقنيات الحديثة والكفاءات البشرية المدربة للتعامل مع صور الجرائم المالية المعقدة والأنشطة المرتبطة بها. كما تهدف هذه التدابير إلى إعادة توجيه التدفقات النقدية والأنشطة الاقتصادية نحو القنوات الرسمية الشفافة، للحد من اقتصاد الظل والتصدي لعمليات التهريب وتبييض الأموال، وهو ما يصب مباشرة في خانة استقرار العملة الوطنية وتحسين الأداء المالي المباشر للدولة.

وتساهم هذه التحركات في تهيئة بيئة استثمارية مشجعة وآمنة وقادرة على جذب رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية والمشاركة بفاعلية في مرحلة التعافي الاقتصادي وإعادة الإعمار.

ولا شك أن تعزيز الثقة بالنظام المصرفي السوري يشكل حجر الزاوية لجذب الاستثمارات التنموية، حيث يبحث المستثمرون والمؤسسات المالية الدولية دائمًا عن أطر قانونية شفافة ومناخ يتسم بالنزاهة والامتثال للمعايير الدولية. ومن خلال تأكيد سوريا التزامها التام بمكافحة الجرائم المالية الشاملة، تتزايد الفرص المتاحة لفك العزلة المالية والتجارية، والوصول إلى أسواق جديدة وتسهيل حركة التحويلات والعمليات التجارية الرسمية.

العقوبات الأميركية تعمّق عزلة الحكومة السودانية

قيود مالية وتجارية تضيف ضغوطا جديدة إلى اقتصاد أنهكته الحرب

الخرطوم - دخلت العقوبات الأميركية الجديدة على السودان حيز التنفيذ، لتفتح مرحلة جديدة من الضغوط السياسية والاقتصادية على الحكومة السودانية، التي تخوض حربا داخلية منذ أكثر من عامين وسط أزمة اقتصادية وإنسانية غير مسبوقة. وبينما تبرر واشنطن هذه الإجراءات باتهامات تتعلق باستخدام أسلحة كيميائية، تنفي الخرطوم تلك الاتهامات وتصفها بأنها ذات دوافع سياسية وتفتقر إلى الأدلة.

وتعكس العقوبات تصعيدا في سياسة الضغط الأميركية تجاه السلطات السودانية، بعدما اعتبرت واشنطن أن الخرطوم لم تستوف المتطلبات القانونية المرتبطة باتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية، ولم تقدم ما يكفي لإثبات التزامها بها خلال المهلة المحددة.

تحت الضغط

وتشمل الإجراءات حظر تقديم القروض والمساعدات المالية أو الفنية للسودان عبر المؤسسات المالية الدولية، باستثناء المساعدات الإنسانية والغذائية، إلى جانب فرض قيود واسعة على تصدير السلع والتقنيات الأميركية وتشديد الرقابة على المواد التي يمكن استخدامها لأغراض عسكرية أو أمنية.

ومن المقرر أن تستمر العقوبات عاما على الأقل، ما لم تقتنع الإدارة الأميركية بأن السودان استوفى الشروط القانونية اللازمة لرفعها، وهو ما يجعلها أداة ضغط طويلة الأمد في وقت تعاني فيه البلاد من انهيار اقتصادي واستنزاف مستمر بسبب الحرب.

ولا يقتصر تأثير العقوبات على الجانب المالي، بل يحمل أبعادا سياسية ودبلوماسية واضحة، إذ تعكس تشددا أميركيا تجاه إدارة الحكومة السودانية للحرب، وتؤكد أن ملف الأسلحة الكيميائية بات جزءا من أدوات الضغط الدولي على الخرطوم.

ومن المتوقع أن تزيد القيود الجديدة من صعوبة وصول السودان إلى مصادر التمويل الدولية، كما قد تعرقل الحصول على بعض التقنيات والسلع الأميركية، في وقت تعاني فيه الدولة من تراجع الإيرادات وتدمير واسع للبنية التحتية وتعطل النشاط الاقتصادي في مناطق واسعة.

ويرى مراقبون أن واشنطن تسعى من خلال هذه العقوبات إلى رفع كلفة استمرار سياسات الحكومة السودانية، ودفعها إلى تقديم تنازلات، سواء في ملف الأسلحة الكيميائية أو في ما يتعلق بالتجاوب مع المطالب الدولية الرامية إلى حماية المدنيين وتهيئة الظروف لتسوية سياسية.

وتأتي هذه الخطوة في ظل تصاعد الانتقادات الدولية لسير الحرب، وما خلفته من مقتل عشرات الآلاف وتشريد ملايين المدنيين، فضلا عن أزمة إنسانية توصف بأنها من بين الأسوأ عالميا.

وعادت قضية الأسلحة الكيميائية إلى الواجهة مع بدء تنفيذ العقوبات، بعد تقارير وشهادات محلية تحدثت عن حادثة في منطقة أم قرفة بولاية شمال كردفان.

وقال سكان وقيادات أهلية إن طائرة من طراز "أنتونوف" تابعة للجيش السوداني ألقت مقذوفات غير مألوفة تسببت في تصاعد أدخنة وروائح وألوان غير اعتيادية، فيما تداولت منصات إعلامية مقاطع مصورة لعناصر من قوات الدعم السريع تحدثت فيها عن احتمال احتواء تلك المقذوفات على مواد كيميائية.

واستندت قوات الدعم السريع إلى هذه الروايات للمطالبة بتحقيق دولي مستقل، معتبرة أن أي استخدام لأسلحة كيميائية يمثل انتهاكا خطيرا للقانون الدولي ويستوجب المساءلة.

> **الإجراءات تشمل حظر القروض والمساعدات المالية عبر المؤسسات الدولية، إلى جانب قيود على الصادرات الأميركية**

في المقابل، رفضت الحكومة السودانية هذه الاتهامات بصورة قاطعة، مؤكدة أنها تستند إلى معلومات غير موثقة ومصادر غير موثوقة، واتهمت الولايات المتحدة بتسييس الملف واستخدامه لتبرير فرض عقوبات جديدة.

وأكدت وزارة الخارجية السودانية أن العقوبات الأميركية "أحادية وغير قانونية"، مشددة على التزام السودان الكامل باتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية، وعلى استمرار تعاونه مع منظمة حظر الأسلحة الكيميائية في تنفيذ جميع الالتزامات المقررة.

كما أشارت الخرطوم إلى عضويتها في المجلس التنفيذي للمنظمة، معتبرة أن ذلك يعكس ثقة المجتمع الدولي في التزامها بالاتفاقيات ذات الصلة، ويناقض الاتهامات الموجهة إليها.

وسبق أن شكل رئيس مجلس السيادة الانتقالي عبدالفتاح البرهان في مايو 2025 لجنة وطنية للتحقيق في المزاعم الأميركية، في محاولة لإظهار استعداد الحكومة للتعامل مع القضية عبر القنوات القانونية والرسمية.

وتأتي العقوبات في وقت تشهد فيه البلاد واحدة من أعقد الأزمات في تاريخها الحديث، إذ أدت الحرب المستمرة منذ أبريل 2023 إلى انهيار قطاعات واسعة من الاقتصاد، وتراجع الخدمات الأساسية، ونزوح ولجوء ملايين السودانيين، وفقا لتقديرات الأمم المتحدة.

ويضيف القرار الأميركي تحديا جديدا أمام الحكومة السودانية، التي تجد نفسها مطالبة بإدارة الحرب، والحفاظ على الحد الأدنى من الخدمات العامة، واحتواء الضغوط الاقتصادية، بالتزامن مع تزايد عزلتها الدبلوماسية.

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

المغرب في مواجهة بيغاسوس وبروباغندا التضليل الرقمي

المملكة تُعيد ترسيم معالم حضورها الدولي... ترفض الوصاية وتفرض الندية

البرَّاق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

تشهد الساحة الدولية في السنوات الأخيرة تحولًا جذريًا في طبيعة الصراعات، حيث انتقلت المواجهات من طابعها التقليدي إلى فضاءات "الحروب الهجينة" التي تُوظَّف فيها التكنولوجيا، والبروباغندا الرقمية، والتسريبات الممنهجة كأدوات متطورة للضغط السياسي والابتزاز الدبلوماسي.

وفي هذا السياق المتوتر، برزت سلسلة من الحملات الإعلامية المنظمة والشرسة التي تقودها منصات أجنبية وائتلافات صحفية مسيَّسة، جعلت من المملكة المغربية ومؤسساتها السيادية هدفًا ثابتًا لتقارير تفتقر إلى أدنى المعايير المهنية والمصداقية العلمية. إن التدقيق في طبيعة هذه التقارير، وتوقيت نشرها المتزامن مع محطات دبلوماسية فارقة للمملكة، يكشف بشكل قاطع أنها لا تمثل عملًا صحفيًا استقصائيًا مجردًا يبتغي الحقيقة، بل هي أسلحة رقمية ضمن إستراتيجية أوسع تهدف إلى تشويه السمعة الدولية للمغرب وفرملة صعوده الإقليمي.

> الحملات الإعلامية الموجهة ضد المغرب بروباغندا سوداء تستغل قضايا الخصوصية الرقمية للتشويه دون أي دليل

تتأسس هذه الحملات المضللة على صناعة سرديات وهمية حول قضايا التجسس الرقمي واختراق الهواتف -مثل قضية "بيغاسوس"- مستغلة تعقيد الملفات التكنولوجية لتمرير ادعاءات فضفاضة ومصطلحات سينمائية مبنية على لغة التخمين والأسماء المستعارة والروايات المفبركة.

وتكمن خطورة هذه البروباغندا في محاولتها الالتفاف على القنوات القانونية والقضائية؛ حيث تعجز هذه المنصات -ومن يقف وراءها من منظمات شريكة مثل "منظمة العفو الدولية"- عن تقديم دليل مادي واحد، أو شريحة بيانات رقمية جنائية معتمدة وقابلة للفحص من طرف لجان علمية مستقلة أو محاكم دولية. إن هذا التهافت المنهجي، المقرون برفض تقديم الإثباتات، يحوِّل هذه المنشورات من طابع "التقارير الحقوقية" إلى منشورات "بروباغندا سوداء" تخدم أجندات خفية لقوى إقليمية منافسة وجهات غربية تقليدية باتت تزعجها الاستقلالية الإستراتيجية للمملكة وتنامي دورها كقوة ندّية ترفض التبعية وتصوغ تحالفاتها بناءً على المصالح المشتركة والسيادة الكاملة.

وبناءً على هذا السياق، يقتضي الأمر تفكيك الخلفيات الحقيقية لهذه الهجمات الممنهجة، ودحض الأطروحات المضللة عبر تعريتها تكنولوجيًا وقانونيًا وسياسيًا، وتسليط الضوء على مكامن الخلل في المنهجية التي اعتمدتها تلك المنصات الأجنبية. وذلك من خلال تجاوز القراءة السطحية للأحداث نحو سبر أغوار الأهداف الجيوسياسية للأطراف المحركة لهذه الحملات، وتبيان كيف يتم استخدام ملف "الخصوصية الرقمية وحقوق الإنسان" كغطاء لابتزاز الدولة المغربية ومحاولة ثنيها عن مواصلة نجاحاتها الدبلوماسية الكبرى، لاسيما في ملف الوحدة الترابية وتوسيع نفوذها الاقتصادي والسياسي في عمقها الأفريقي والفضاء المتوسطي.

إن استهداف شخصيات سيادية كالمستشار الملكي فؤاد عالي الهمة، ومؤسسات سيادية كالمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (DGST) وكفاءاتها الأمنية المشهود لها وطنيًا ودوليًا بالمهنية، لا يمثل حدثًا معزولًا أو صدفة عابرة، بل هو استهداف مقصود وممنهج لـ"الدرع السيادي والأمني" للمملكة. فالنجاعة المشهود بها عالميًا للأجهزة الأمنية المغربية في مكافحة الإرهاب، والجريمة المنظمة، والهجرة غير الشرعية، نجحت في تحويل المغرب إلى واحة للاستقرار والريادة الأمنية وسط محيط إقليمي مضطرب.

ومن هنا، فإن محاولة شيطنة هذه المؤسسات السيادية، عبر تقارير وهمية تسعى أساسًا إلى إضعاف هذا الحصن المنيع وهز ثقة الشركاء الدوليين في موثوقية الأجهزة المغربية وضرب الجبهة الداخلية، هي مؤامرة سقطت أقنعتها أمام "الثبات الانفعالي" للمؤسسات المغربية، والردود القانونية الحازمة للمملكة، وصمود وعي المجتمع المغربي والتفافه حول المؤسسة الملكية، الضامن الأول والأخير لاستقرار وأمن الوطن والمواطنين.

تهافت المنهج العلمي

يكشف التدقيق العلمي والقانوني في المادة التي بُنيت عليها تقارير "بيغاسوس" عن عوار منهجي وغياب كامل للأدلة الجنائية الرقمية المعترف بها دوليًا، مما يحولها من تحقيقات استقصائية إلى مجرد بروباغندا موجهة. وتتمثل الثغرة الكبرى في اعتمادها على مختبر تقني واحد غير محايد، وصياغة استنتاجات فضفاضة مبنية على فرضيات جاهزة، مع رفض إخضاع ما سُمي "أدلة رقمية" للفحص المحايد أو تقديمها للقضاء بشكل رسمي وشفاف.

هذا الإصرار على إبقاء الأدلة في "صندوق أسود" أفقدها أي شرعية علمية، فيما لجأت التقارير إلى لغة سينمائية مثيرة مليئة بالتخمين والظنون لتعويض غياب الوثائق والمستندات. وعلى المستوى القانوني، واجه المغرب هذه الحملات بثبات مؤسساتي، ورفع دعاوى مباشرة في باريس ومدريد وبرلين، بينما عجزت المنظمات المروجة عن تقديم أي دليل ملموس أمام القضاء الأوروبي.

وقد رفضت محكمة الاستئناف في فرنسا تهم التجسس لغياب الإثباتات، مما شكل صك براءة دوليًا للمملكة، وأكد أن الطرف الذي يملك الحجة والشرعية هو المغرب، فيما لجأ خصومه إلى شعارات فضفاضة مثل "حصانة المصادر الصحفية" للتغطية على عجزهم التقني وفشل حملاتهم الإعلامية ضد السيادة الرقمية المغربية.

تفكيك الأجندة الجيوسياسية

إن الحملات الإعلامية ضد المغرب لا يمكن قراءتها بمعزل عن دوافعها الجيوسياسية؛ فهي لا تحدث صدفة، بل تصدر في توقيت مشبوه يتزامن مع نجاحات دبلوماسية بارزة، مثل الاعترافات الدولية بمغربية الصحراء أو توسع الشراكات الاقتصادية في أفريقيا والمتوسط. هذا الترابط الزمني يكشف أن الهدف ليس حماية الخصوصية، بل التشويش على المكتسبات السيادية وفرملة الديناميكية الدبلوماسية المتصاعدة للمملكة.

وتبرز خلف هذه الحملات أطراف إقليمية تستغلها كأداة بروباغندا للتغطية على إخفاقاتها، إلى جانب دوائر أوروبية منزعجة من صعود المغرب كقوة ندّية مستقلة. هذه القوى، التي اعتادت التعامل مع المنطقة بمنطق الوصاية، ترى في المغرب الجديد تهديدًا لمعادلاتها التقليدية، خصوصًا مع ريادته في الأمن والطاقة واللوجستيك.

لذلك يتم توظيف ورقة "حقوق الإنسان والخصوصية الرقمية" كسلاح ناعم للضغط الجيوسياسي، وتحويل ملفات الأمن الرقمي إلى أدوات ابتزاز تهدف إلى وضع المغرب في موقع الدفاع واستهلاك جهده في الرد على مزاعم واهية.

غير أن هذه المناورات اصطدمت بصلابة الجبهة الداخلية، ووعي النخب، والثبات الدبلوماسي للمملكة، فتحولت الحملات إلى سلاح مرتد كشف زيف شعاراتها أمام الرأي العام الدولي، وأكد أن المغرب ماض بثقة في ترسيخ مكانته كشريك محوري في الفضاءين الأفريقي والمتوسطي.

استهداف الريادة الأمنية المغربية

إن تفكيك السرديات المضللة التي روجتها منصات أجنبية منظمة يقودنا حتما إلى فهم الهدف الجوهري والأكثر خطورة وراء هذه الحملات، وهو استهداف مكامن القوة والتميز في المنظومة الأمنية للمملكة المغربية التي تأسست دعائمها بفضل الرؤية المتبصرة للملك محمد السادس.

لقد تحولت الأجهزة الأمنية والاستخباراتية المغربية، وفي طليعتها المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (DGST)، إلى نموذج عالمي يُحتذى به بفضل التنزيل الدقيق لإستراتيجيات استباقية فائقة النجاعة في تفكيك الخلايا الإرهابية، ودحر شبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود، وإجهاض مخططات الهجرة غير الشرعية، فضلاً عن كفاءتها العالية في كشف ومحاربة الجواسيس الفعليين.

هذه النجاعة المشهود بها دوليا جعلت من المغرب شريكا لا محيد عنه، وصمام أمان يضمن الاستقرار والسلم في منطقة شمال أفريقيا والساحل والفضاء الأورومتوسطي، وهو التميز الذي تحول مع الوقت إلى "عقدة" لدى الجهات المحركة للتقارير المضللة التي سعت جاهدة لتحويل هذا النجاح الباهر إلى مادة للتشكيك والشيطنة.

ويقترن هذا التفوق الأمني ببناء شبكة من الشراكات الدولية الموثوقة والوثيقة المبنية على الندية، والثقة المتبادلة، والمصالح المشتركة مع كبريات العواصم العالمية؛ من واشنطن إلى مدريد وباريس وغيرها من مراكز القرار الدولي. إن لجوء أجهزة استخبارات دولية كبرى وعريقة إلى التنسيق المستمر مع الأجهزة المغربية، والاعتماد على معلوماتها الدقيقة لحماية أمنها القومي، يعكس اعترافا صريحا بريادة وموثوقية المؤسسة الأمنية للمملكة.

> النجاعة المغربية في مكافحة الإرهاب جعلت المملكة شريكًا موثوقًا، ما يزعج قوى ساعية لإبقاء المنطقة تحت وصايتها

غير أن هذا التعاون الإستراتيجي عالي المستوى، وصعود المغرب كقوة أمنية ندية ترفض التبعية، باتا يُزعجان قوى تقليدية وجهات جيوسياسية معينة تريد بقاء المنطقة تحت وصايتها وهيمنتها. ومن ثم، فإن صناعة ملفات وهمية مثل قضية "بيغاسوس" وتوجيهها ضد الرباط لم تكن سوى محاولة بائسة لضرب أسس هذه الثقة الدولية، وزرع الشكوك بين المغرب وشركائه الغربيين، في مسعى لفرملة هذا الصعود الإستراتيجي وإعادة المملكة إلى مربع الارتهان للإملاءات الخارجية.

وفي سياق هذه الحرب الهجينة، لم تكتفِ تلك التقارير الموجهة بمحاولة النيل من الأجهزة الأمنية فحسب، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك عبر استهداف المحيط الملكي بشكل مباشر ومقصود.

وتجلى هذا المخطط في توجيه نِصال البروباغندا السوداء نحو المستشار الملكي عالي الهمة، عبر اختلاق قصص بوليسية مفبركة وروايات خيالية تفتقر لأدنى مصداقية وثائقية، وذلك في محاولة مكشوفة لضرب النواة الصلبة للدولة واستهداف الرموز الكفؤة المحيطة بمركز القرار السيادي.

إن هذه المحاولات الدنيئة لا تبتغي نقدا موضوعيا، بل تهدف بالأساس إلى محاولة إضعاف المعنويات وهز ثقة المواطن المغربي في مؤسساته السيادية التي تشكل درع الوطن الحصين. وتتوهم الجهات الراعية لهذه الحملات أن اغتيال السمعة المعنوية للشخصيات الوطنية الوازنة سيزعزع الجبهة الداخلية؛ غير أن النتيجة جاءت عكسية تماما، إذ تحطمت هذه المؤامرة الإعلامية أمام وعي مجتمعي مغربي صلب، والتفاف شعبي واثق حول العرش ومحيطه، وثبات انفعالي ومؤسساتي أكد للعالم أن الدولة المغربية عصية على الاختراق أو التقويض.

أسطورة «الوسطاء»

إن التدقيق في السرديات التي سوّقتها بعض التقارير حول ما أسمته بـ"العمليات العابرة للحدود" و"المسارات المالية المشبوهة"، يكشف بوضوح أننا أمام تكتيك استخباراتي مُغلف بغلاف "الاستقصاء"، يعتمد على "خيال السيناريوهات" لتعويض غياب الأدلة الجنائية. فعندما تغوص هذه المقالات في تفاصيل "هوليوودية" حول وسطاء تقنيين، أو صفقات تسليح عبر شركات وهمية، أو تحويلات مالية لـ "شخصيات رمزية"، فهي في حقيقة الأمر لا تقدم عملاً صحفيا، بل تُمارس عملية "هندسة للشك"؛ إذ يتم نسج قصص حول صفقات دولية (دولة إلى دولة G2G تخضع لمعايير الرقابة الدولية، وتحويلها إلى سردية تآمرية تهدف إلى شيطنة التعاون الأمني الإستراتيجي الذي يربط المملكة بشركائها الدوليين، وبشكل خاص محاولة استهداف العلاقات الإستراتيجية مع دولة الإمارات العربية المتحدة وباقي القوى الدولية في الشرق الأوسط، كنوع من الابتزاز الجيوسياسي لضرب استقلالية القرار السيادي المغربي.

إن الادعاء بوجود "محور استخباراتي إقليمي" لغرض التجسس هو محاولة يائسة لتأجيج مخاوف الرأي العام الغربي من الصعود المغربي، متجاهلة عن قصد أن التعاون الأمني المغربي هو نموذج عالمي في مكافحة الإرهاب، وليس "مغامرة تقنية" خارج الأطر القانونية.

إن المنصات التي تدعي "تتبع الأموال والصفقات" تعجز عن تقديم فاتورة واحدة أو وثيقة بنكية رسمية تثبت تورط المؤسسات السيادية المغربية في أي خرق قانوني؛ لأنها ببساطة تعتمد على "التفسيرات الاحتمالية" و"الربط التعسفي" للبيانات التقنية والعناوين الرقمية (IP) وهي تقنيات يعرف أي خبير في الأمن السيبراني أنها قابلة للتلاعب والتحريف لتوجيه أصابع الاتهام نحو أطراف معينة، مما يثبت أن هذه المنظمات تمارس "تزييفا تقنيا" لخدمة أجندات سياسية معادية.

إن محاولة تصوير المغرب كـ"مدمن على التجسس" هي في واقع الأمر انعكاس لـ"إدمان" هذه المنصات على صناعة الفزاعات، وهروبها من مواجهة الحقائق المادية، ومحاولتها المستميتة لكسر التحالفات الإستراتيجية التي تجعل من المغرب فاعلاً إقليميا لا يمكن تجاوزه أو إملاء الشروط عليه.

تعزيز السيادة الرقمية الوطنية ليس ترفًا تقنيًا، بل ضرورة إستراتيجية لحماية الأمن القومي في عصر تُدار فيه المعارك عبر الفضاء السيبراني. ويُعد هذا الحق مكفولًا للمغرب بموجب القانون الدولي ومبدأ الدفاع الشرعي عن النفس، حيث يترجم في المرسوم 2.21.406 المنظم للأمن السيبراني وحماية المنشآت الحيوية. هذا الإطار الصلب يفسر شراسة الحملات الإعلامية التي ترى في التميز المغربي تهديدًا لهيمنة القوى التقليدية على خرائط الأمن الرقمي.

تتجلى ازدواجية المعايير الغربية في مباركة امتلاك دولها لتقنيات الرقابة والاختراق، مقابل شيطنة المغرب عند تطوير ترسانته الدفاعية. فقد انتقل المغرب من مجرد مستهلك للحلول الرقمية إلى شريك ندّي يمتلك مراكز بيانات وطنية ويصوغ معادلات الأمن الإقليمي، مما جعل التقارير المفبركة أدوات ضغط سياسي لعرقلة هذا الصعود.

ومن هنا، بات الانتقال من الدفاع إلى الهجوم الإستراتيجي ضرورة، حيث واجه المغرب الادعاءات الواهية بتعرية جوهر الاستهداف وكشف غياب أي إثبات جنائي أمام المحاكم الأوروبية. وقد نجحت المديرية العامة لأمن نظم المعلومات، بالتعاون مع الأجهزة السيادية، في بناء أرضية تكنولوجية مستقلة رفعت موقع المملكة في المؤشرات الدولية، وجعلتها شريكا موثوقا في مكافحة الجريمة الرقمية العابرة للحدود.

هذا التفوق النوعي يبرهن أن امتلاك المغرب لناصية التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي هو امتلاك لمفاتيح السيادة الفعلية، وأن صموده أمام الحملات الإعلامية يعكس نضجًا إستراتيجيًا ورؤية ملكية متبصرة. فالمملكة تدرك أن طريق الريادة الأفريقية والمتوسطية يمر عبر تحصين الحدود السيبرانية وتوطين الصناعات الأمنية الرقمية، لتظل مؤسساتها حصنًا عصيًا على الاختراق ومحاولات الابتزاز الجيوسياسي.

حجية العدالة الدولية

لم تكن معركة "بيغاسوس" مجرد سجال إعلامي، بل اختبارًا لقوة المؤسسات المغربية في مواجهة محاولات التشويه العابر للحدود. فقد انتقل المغرب من موقع الدفاع إلى انتزاع "صكوك براءة دولية" موثقة من قلب العواصم الأوروبية، حيث عجزت الجهات المهاجمة عن تقديم أي دليل جنائي، بينما قدم القضاء والأجهزة الأمنية شهادات حاسمة فضحت زيف هذه الحملات، مؤكدة أنها مجرد "فقاعات إعلامية" تتلاشى أمام صرامة التحقيقات المستقلة.

تجلت هذه البراهين في ثلاث محطات رئيسية. ففي إسبانيا، جاء التقرير السنوي للأمن القومي (مارس 2024) ليؤكد خلو الساحة من أي اختراق مغربي، مدعومًا بقرار المحكمة الوطنية التي حفظت الملف لغياب الأدلة.

وفي فرنسا، قضت محكمة الاستئناف في باريس (أبريل 2023) بعدم قبول دعاوى التشهير، مؤكدة أن الاتهامات بالتجسس تفتقر لأي حجية قضائية مادية، وظلت مجرد مزاعم بلا إثبات. أما في البرلمان الأوروبي، فرغم الضغوط السياسية التي رافقت لجنة التحقيق (PEGA)، جاءت توصياتها (يونيو 2023) خالية من أي إدانة قانونية، مكتفية بفرضيات صحفية غير رسمية، وهو ما أكد افتقارها للمقومات التقنية والجنائية.

وعلى الصعيد الفني الدولي دعمت مراجعات علمية محايدة الموقف المغربي، إذ فككت منهجيات التحليل الرقمي التي اعتمدتها بعض المنظمات غير الحكومية، وأثبتت أنها تفتقر لمعايير التحقيق الجنائي المقبولة قضائيًا، وشابتها أخطاء منهجية وخلط في البيانات.

بهذا، تحولت قضية "بيغاسوس" إلى دليل إضافي على صلابة المؤسسات المغربية، التي واجهت الحملات الإعلامية بالثبات القانوني والشرعية الدولية، مؤكدة أن السيادة الوطنية عصية على التشويه والابتزاز.

> المحاكم الأوروبية أثبتت أن المزاعم الموجهة للمغرب تفتقر للحجية القضائية لتتحول إلى فقاعات إعلامية تتهاوى أمام التحقيقات

ختاما، إن هذه المعطيات ليست مجرد ردود تقنية أو سجالات عابرة، بل هي وثائق إستراتيجية تدك حصون هذه المنصات وتكشف زيف طروحاتها كأداة تشويش إعلامي لا تملك أدنى مقومات الصمود أمام صرامة الحقيقة القضائية.

لقد وجهت الرباط رسالةً إستراتيجية حاسمة للمنتظم الدولي؛ مفادها أن السيادة المغربية، بمختلف أبعادها الرقمية والمؤسساتية، ليست رهينةً لأهواء الدوائر المسيسة أو مختبرات الابتزاز، بل هي حصنٌ منيعٌ يُصانُ بصرامة الكفاءة الأمنية، ويُكرسُ بوقار القضاء المستقل الذي أنصف المملكة وأسقط الأقنعة عن مدعي النزاهة.

إن مغرب القرن الحادي والعشرين، بمكانته كقطب إقليمي فاعل وشريك إستراتيجي موثوق، قد تجاوز بذكاء سيادي مرحلة "رد الفعل" التقليدي، ليفرض معادلة جديدة تعتمد على "الفعل الاستباقي" والندية الإستراتيجية. فبينما تتهاوى سرديات البروباغندا وتتبدد فصول فبركاتها أمام حائط المصداقية المغربي، يظل الدرع الأمني والسيادي للمملكة صرحا عصيا على الاختراق، محميا ببوصلة رؤية ملكية متبصرة لا ترضى إلا بالاستقلالية الكاملة للقرار الوطني.

لقد أثبتت التجربة أننا أمام تحول نوعي؛ حيث تحولت "الحقيقة المغربية" إلى قوة ردع إستراتيجية تُربك حسابات خصوم التنمية، وتُعيد صياغة قواعد الاشتباك الدبلوماسي.

إن المملكة لا تدافع عن سيادتها فحسب، بل تُعيد ترسيم معالم حضورها الدولي كقوة استقرار محورية، ترفض الوصاية، وتفرض الندية، وتصيغ تحالفاتها انطلاقا من ثوابت السيادة وصرامة الحق.

صناعة سرديات وهمية

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

العراق يعول على صندوق التنمية لتسريع التحول الاقتصادي

فرص استثمارية ضخمة تستهدف تعزيز الصناعة المحلية وجذب رؤوس الأموال الأجنبية لتقليل الاعتماد على النفط

في ظل الضغوط التي تفرضها تقلبات قطاع النفط لارتباطه بالأسواق والاستقرار الجيوسياسي والتحديات الإقليمية، تكثف الحكومة العراقية جهودها لتنويع مصادر الدخل وتحفيز الاستثمار في القطاعات غير النفطية عبر التعويل على صندوق التنمية الذي يحاول تحويل الفرص إلى واقع.

بغداد - كشف صندوق العراق للتنمية عن فرص استثمارية تصل قيمتها إلى حوالي 40 مليار دولار، تستهدف إنتاج سلع محليا بدلا من استيرادها، وهي محاولة أخرى من قبل الحكومة لتعزيز الناتج الإجمالي وتأمين عوائد مستدامة.

وتعكس الخطوة توجه الحكومة نحو إعادة هيكلة الاقتصاد وتقوية القطاعات غير النفطية، بالتوازي مع مواجهة الضغوط التي فرضتها التطورات الإقليمية وتراجع الإيرادات النفطية.

وأكد رئيس الصندوق محمد النجار في تصريحات أوردتها وكالة الأنباء العراقية الرسمية الثلاثاء، أن الأموال المتاحة لدى الصندوق مخصصة للاستثمار الإنتاجي وليس للإنفاق التشغيلي.

وأوضح أن الصندوق يعتمد نموذجاً استثمارياً يقوم على تمويل مشاريع تحقق عوائد مالية، ثم إعادة توظيف هذه العوائد في مشاريع جديدة، بما يولد دورة استثمارية مستدامة تعزز الموارد المالية للدولة.

محمد النجار

الصندوق لديه نموذج يولد دورة استثمارية مستدامة

ويمثل الصندوق إحدى الأدوات الرئيسة التي تعتمد عليها الحكومة لبناء اقتصاد أكثر تنوعاً، لاسيما في ظل عدم إقرار الموازنة العامة للعام الحالي، إلى جانب التحديات التي فرضتها التطورات الجيوسياسية وتراجع صادرات النفط عبر بعض المنافذ.

ويكافح العراق الذي شهد حروبا وفترة حصار طويلة منذ أكثر من أربعة عقود بحثا عن حلول تساعد في تحفيز أصحاب الأعمال على ضخ أموالهم في مشاريع تسهم في تخفيض مستوى البطالة وتضيّق دائرة الفقر وتدفع عجلة التنمية منذ الغزو الأميركي في 2003.

وأشار النجار إلى أن السياسات التنفيذية الخاصة بالصندوق اكتملت، وهي بانتظار اعتمادها من مجلس الإدارة الذي يرأسه رئيس الوزراء ويضم وزراء المالية والتخطيط والإعمار والإسكان، وذلك بعد إعادة تشكيل الحكومة خلال مايو الماضي.

وقال إن "فلسفة عمل الصندوق تختلف عن آليات الإنفاق الحكومي التقليدية، إذ تركز على الاستثمار وتحقيق العائد الاقتصادي بدلاً من تمويل المصروفات الجارية".

ويكشف حجم الواردات الكبير الذي يعتمد عليه الاقتصاد في الوقت ذاته عن فرص استثمارية ضخمة يمكن استغلالها لإقامة صناعات محلية قادرة على تلبية الطلب الداخلي، بما يقلل الحاجة إلى الاستيراد ويعزز مساهمة القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي.

ويرى النجار أن إحلال الواردات بالإنتاج المحلي، بالتعاون مع المستثمرين المحليين والأجانب، يمكن أن يسهم في توفير الآلاف من فرص العمل، ورفع القيمة المضافة للصناعة الوطنية، وتحفيز النشاط الاقتصادي في قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات اللوجستية.

وتأتي هذه الخطط في وقت يواجه فيه الاقتصاد العراقي تحديات غير مسبوقة نتيجة التوترات الإقليمية، التي انعكست على إنتاج النفط والصادرات، المصدر الرئيس لإيرادات الدولة.

وبحسب تقديرات بنك ستاندرد تشارترد نقلتها بلومبيرغ الشرق، انخفض إنتاج العراق النفطي إلى نحو 1.6 مليون برميل يومياً مقارنة بمتوسط بلغ 4.3 مليون برميل يومياً قبل اندلاع الأزمة.

كما تراجعت إيرادات صادرات النفط إلى نحو 1.1 مليار دولار في أبريل الماضي، مقارنة مع 6.8 مليار دولار في فبراير، وهو انخفاض حاد ألقى بظلاله على المالية العامة.

ويتوقع البنك أن ينكمش الاقتصاد العراقي بنحو 15 في المئة خلال عام 2026، نتيجة انخفاض إنتاج النفط، في وقت لا تزال فيه العائدات النفطية تمثل قرابة 90 في المئة من إيرادات الحكومة، ما يبرز هشاشة هيكل الاقتصاد واعتماده الكبير على قطاع واحد.

ورفع ستاندرد تشارترد توقعاته لعجز الموازنة العراقية خلال هذا العام إلى 12.5 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، مقارنة مع توقعات سابقة عند 6 في المئة، على أن يتراجع العجز إلى نحو 6 في المئة عام 2027 إذا تحسنت مستويات إنتاج النفط والصادرات.

40

مليار دولار يعتزم الصندوق استثماراها لتعزيز الإنتاج المحلي وتنويع مصادر الدخل

وأسست بغداد صندوق العراق للتنمية في عام 2023 ليكون إحدى الأذرع الاستثمارية للحكومة، ويستهدف تمويل مشاريع إستراتيجية بالشراكة مع القطاع الخاص والمستثمرين الأجانب، مع التركيز على القطاعات الإنتاجية والبنية التحتية والصناعة والزراعة والطاقة والخدمات.

ويختلف الصندوق عن الصناديق السيادية التقليدية المعروفة لدى دول الخليج العربي، والتي تستثمر الفوائض المالية في الأسواق العالمية.

ويركز هذا الكيان بصورة أساسية على استثمار الأموال داخل الاقتصاد العراقي، بهدف تحفيز النشاط الاقتصادي المحلي، وجذب رؤوس الأموال، وتعزيز مساهمة القطاع الخاص في تنفيذ المشاريع التنموية.

كما يعتمد على نموذج استثماري يهدف إلى تحقيق عوائد مستدامة، بحيث يعاد استثمار الأرباح في مشاريع جديدة، وهو ما يحد من الاعتماد على التمويل الحكومي المباشر، ويوفر مورداً طويل الأجل لتمويل التنمية.

ويرى خبراء أن نجاح الحكومة في تحقيق أهدافها الاستثمارية والتنموية سيعتمد على أكثر من مجرد توفير التمويل، إذ يرتبط بقدرتها على تحسين بيئة الأعمال، وتبسيط الإجراءات الإدارية، وتعزيز الإطار القانوني الذي يحمي المستثمرين، إضافة إلى مكافحة الفساد وتسريع تنفيذ المشاريع.

اقتصاد العراق من المتوقع أن ينكمش بنحو 15 في المئة خلال 2026 نتيجة انخفاض إنتاج النفط

ويمتلك العراق مقومات اقتصادية كبيرة، تشمل سوقاً محلية تتجاوز 45 مليون نسمة، وموارد طبيعية واسعة، وحاجة متزايدة إلى تطوير الصناعات التحويلية والبنية التحتية، وهي عوامل تجعل فرص الاستثمار جذابة إذا توفرت بيئة مستقرة.

وفي المقابل، لا تزال تحديات البيروقراطية وتقلبات الإيرادات النفطية وضعف الخدمات الأساسية، إضافة إلى المخاطر الجيوسياسية، تشكل عوامل قد تؤثر في سرعة تنفيذ الخطط الاستثمارية.

ومع ذلك، فإن إعلان فرص استثمارية بهذا الحجم يشير إلى توجه حكومي واضح نحو تحويل الاقتصاد من نموذج يعتمد بصورة شبه كاملة على عائدات النفط إلى اقتصاد أكثر تنوعاً، يرتكز على الإنتاج المحلي والاستثمار والشراكة مع القطاع الخاص.

وتظهر الحاجة بشكل ملح إلى مساعدة القطاع الخاص في عملية تمويل التنمية لتحقيق أهدافها في مواجهة التحديات المحلية والعالمية، لاسيما مع كثرة مشاكل الدولة وضعف قدرتها على تحقيق تطلعات المواطنين على النحو المطلوب.

ويجمع المحللون على أن ذلك يتطلب مناخ أعمال مستقرا وتشريعات وقوانين ملائمة، إضافة إلى مكافحة الفساد والبيروقراطية وتعزيز الشفافية والاستقرار الأمني.

وإذا نجحت الحكومة في تحويل هذه الفرص إلى مشاريع قائمة، فقد تشكل بداية مرحلة جديدة تعزز قدرة الاقتصاد على مواجهة تقلبات أسواق الطاقة وتحقيق نمو أكثر استدامة على المدى الطويل.

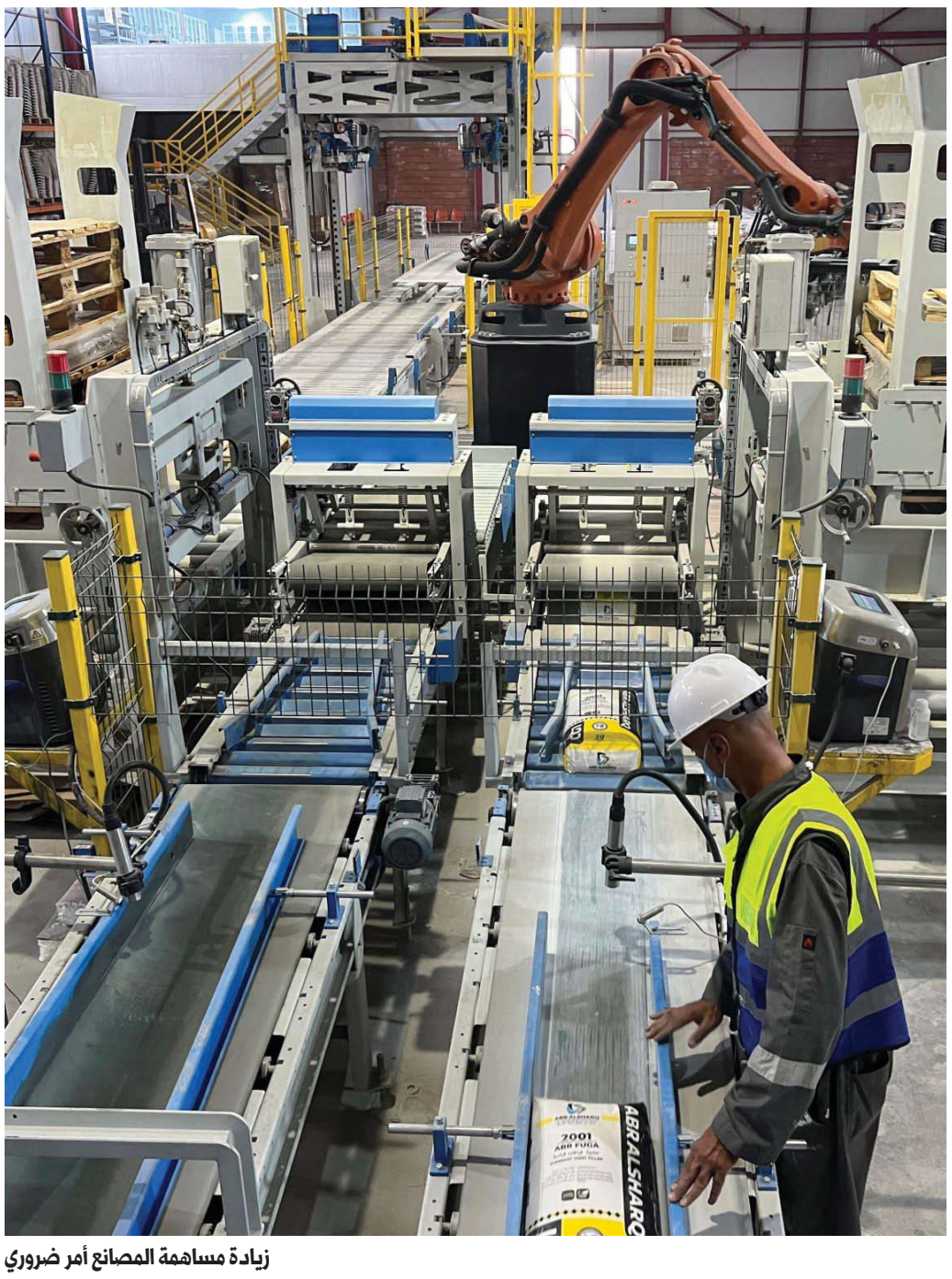

زيادة مساهمة المصانع أمر ضروري

أوروبا تعيد توجيه مزايا سوق الكربون لدعم الاستثمار الأخضر

بروكسل - تفتح التعديلات المقترحة على نظام تداول الانبعاثات في الاتحاد الأوروبي مرحلة جديدة في سياسة تسعير الكربون، بعد إقرار ربط التصاريح المجانية باستثمارات ملموسة لخفض الانبعاثات، في محاولة لتحقيق توازن بين دعم الصناعات كثيفة الاستهلاك للطاقة والحفاظ على أهداف إزالة الكربون.

ويرى مستثمرون أن خطة التكتل لربط تصاريح التلوث المجانية باستثمارات خفض الكربون قد تعزز مساءلة الشركات، رغم المخاوف من أن يؤدي إصلاح شامل لنظام تداول الانبعاثات إلى إضعاف الحوافز لخفض الانبعاثات.

ويوم الجمعة الماضي اقترحت المفوضية الأوروبية مراجعة نظام تداول الانبعاثات، بهدف إبطاء وتيرة خفض الانبعاثات وتخفيف الضغط عن قطاعات مثل الصلب والأسمنت من خلال تمديد التصاريح المجانية حتى عام 2038.

ومع ذلك، اعتبارًا من عام 2031، ستقتصر التصاريح المجانية على الشركات التي تلتزم بالاستثمار في خفض انبعاثات الكربون في أوروبا، وهو تحول جوهري في نظام لطالما انتقدته حملات حماية البيئة لسنوات، إذ يسمح للصناعات بالتلوث دون أي مقابل.

ووصفت أمينة إيسيل، رئيسة قسم المناخ في شركة ستوربراند لإدارة الأصول، التي تدير أصولًا بقيمة 125 مليار يورو (143 مليار دولار أميركي)، هذا المقترح بأنه "أداة فعّالة للمستثمرين". وأضافت لرويترز "ستُصبح التصاريح المجانية بمثابة عقد التزام صارم".

أمينة إيسيل

خطة مكافحة التلوث المقترحة أداة فعالة للمستثمرين

وأشارت إلى أن المستثمرين سيتمكنون الآن من طلب معلومات محددة حول خطط إنفاق الشركة لخفض انبعاثات الكربون، والمخاطر المالية التي قد تتعرض لها ميزانيتها العمومية في حال فقدانها تصاريح ثاني أكسيد الكربون المجانية.

وبموجب هذا المقترح، ستحصل الشركات على 80 في المئة من تصاريح الانبعاثات المجانية إذا قدمت خططا للاستثمار في خفض الانبعاثات الكربونية في أوروبا، على أن يُصرف المتبقي عند إتمام الاستثمار.

وقد يؤدي عدم إعداد خطة موثوقة أو عدم تحقيق مراحل الاستثمار المحددة إلى سحب التصريح.

وقالت إيسيل إن هذا الشرط قد يحل محل الاعتماد على "إفصاحات الحوكمة البيئية والاجتماعية والمؤسسية الغامضة والطوعية" بخطط موحدة وملزمة وخاضعة للتدقيق لخفض الانبعاثات الكربونية.

المرونة ضرورية لمكافحة تغير المناخ

أدنوك تستثمر 6.2 مليار دولار لتطوير مشروع جديد للغاز

أبوظبي - أعلنت شركة بترول أبوظبي الوطنية (أدنوك) الثلاثاء أنها اتخذت قرار الاستثمار النهائي في مشروع تطوير الغطاء الغازي لحقل أم الشيف في أبوظبي بقيمة 6.2 مليار دولار، في إطار تسريع تنفيذ إستراتيجيتها المتكاملة للنمو في مجال الغاز.

وجاء اتخاذ قرار الاستثمار النهائي بالتعاون مع شركاء أدنوك الدوليين في المشروع، وهم توتال إنيرجيز الفرنسية وإيني الإيطالية ومؤسسة البترول الوطنية الصينية.

وذكرت أدنوك في بيان "يتيح هذا المشروع إنتاج أكثر من 600 مليون قدم مكعبة قياسية يوميا من الغاز الطبيعي وسوائل الغاز المصاحبة، أي ما يعادل نحو 10 في المئة من الاستهلاك اليومي المحلي من الغاز".

وأوضحت أن هذه الكمية ستساهم في تعزيز أمن الطاقة في الإمارات. وأضافت أن "من المتوقع بدء الإنتاج من المشروع بحلول عام 2030".

وأكد سلطان أحمد الجابر، وزير الصناعة والتكنولوجيا المتقدمة، العضو المنتدب والرئيس التنفيذي لأدنوك، أنه في ضوء تزايد الطلب العالمي على الغاز الطبيعي، تركز أدنوك على تسريع تنفيذ إستراتيجيتها المتكاملة للغاز.

وأوضح أن الهدف من ذلك هو تعزيز الاستفادة من موارده الوفيرة في الإمارات وترسيخ مكانتها العالمية في قطاع الغاز الطبيعي المسال.

ونسبت وكالة الأنباء الإماراتية الرسمية إلى الجابر قوله إن "قرار الاستثمار النهائي في مشروع تطوير الغطاء الغازي لحقل أم الشيف، يشكل خطوة جديدة مهمة ضمن جهود أدنوك لتنفيذ هذه الإستراتيجية".

وأشار إلى أنه من خلال التعاون مع الشركاء الدوليين، تواصل "الشركة البناء على إرثٍ يمتد لعقودٍ من الإدارة المسؤولة والمنضبطة لأقدم حقل بحري عامل في أبوظبي، بما يساهم في تحقيق قيمة مستدامة لدولة الإمارات وزبائنها".

وتعمل شركة الطاقة الإماراتية على "تسريع استثمار موارد الغاز في الدولة وتوسيع محفظة أعمالها في مجال الغاز الطبيعي المسال".

سلطان الجابر

مشروع حقل أم الشيف خطوة جديدة مهمة لتنمية الموارد

وذكرت أن قرار الاستثمار النهائي للمشروع يشمل ثلاثة عقود للهندسة والمشتريات والإنشاءات بقيمة إجمالية تبلغ 5.1 مليار دولار لتطوير بنية تحتية بحرية، منحتها أدنوك لتحالفات تضم عددا من كبار شركات المقاولات الإماراتية والدولية.

ويتضمن المشروع أيضا برنامجا لحفر 14 بئرا بقيمة 365 مليون دولار، وخدمات متكاملة ستنفذها شركة أدنوك للحفر على مدار 18 شهرا باستخدام ثلاث منصات قائمة.

وتمتلك الإمارات سابع أكبر احتياطي للغاز في العالم، ومع استمرار نمو الطلب الدولي على إمدادات الطاقة الموثوقة ومنخفضة الكربون، تعمل أدنوك على تسريع استثمار هذه الموارد وتوسيع محفظة أعمالها في المجال لتلبية احتياجات زبائنها المحليين والدوليين.

كما تعمل الشركة على المساهمة في دعم نمو البنية التحتية لقطاعَي الصناعة والذكاء الاصطناعي، باعتبارهما أكثر المجالات أهمية في التحول التكنولوجي والتنمية والإنتاجية وغيرها.

وينتج البلد الخليجي نحو 60 مليار متر مكعب سنويا من الغاز المسال، بحسب أحدث البيانات الدولية المتاحة، مع الإشارة إلى أن مشروع الرويس سيرفع طاقة تسييل الغاز الطبيعي إلى نحو 9.6 مليون طن سنويا عند بدء تشغيله.

وتمكنت أدنوك خلال فترة أربع سنوات من بناء محفظة أعمال مهمة في مجال الغاز الطبيعي المسال من أطراف ثالثة، لتصبح ضمن أبرز شركات التداول في هذا المجال عالميا.

وتلقت أنشطة أدنوك في مجال الغاز دفعة مؤخراً، إذ حصل تحالف تقوده الشركة على امتياز تطوير الغطاء الغازي لحقل"باب" في أبوظبي بطاقة إنتاجية متوقعة تبلغ 1.5 مليار قدم مكعبة يومياً، في أكبر مشروع من نوعه عالمياً.

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

رويترز تسحب تقريرها.. والإمارات تطالب بإعلام يفهم السياق المحلي

نقاش في الإمارات حول تنظيم الإعلام الدولي وتوطين وظائف صنع القرار التحريري

في 16 يوليو 2026 نشرت رويترز تقريرا عن سماع دوي انفجارات في وسط دبي، فنفته حكومة دبي فوراً وسحبت الوكالة التقرير واعتذرت. أثار الخطأ نقاشا إماراتيّا حول مسؤولية الإعلام الدولي، وضرورة توطين المناصب التحريرية في غرف الأخبار، وتشديد آليات التحقق، مع تحقيق رسمي مستمر من النيابة العامة.

دبي - أثار تقرير سحبته وكالة رويترز يدّعي سماع انفجارات في وسط دبي نقاشا واسعا في دولة الإمارات العربية المتحدة حول مساءلة المنظمات الإعلامية الدولية، وتوطين القيادات التحريرية، والتوازن بين حرية الصحافة والأمن الوطني في أحد أبرز مراكز الإعلام العالمية انفتاحا.

ووقع الحادث في منتصف يوليو 2026، عندما نشرت رويترز في 16 يوليو تقريرا يزعم أن شهودا سمعوا دوي انفجارات وسط مدينة دبي. سارع المكتب الإعلامي لحكومة دبي إلى نفي التقرير فورا، ووصفه بأنه غير دقيق، وحث الجميع على الاعتماد على المصادر الرسمية وتجنب تداول الشائعات. وسحبت رويترز التقرير وأعربت عن أسفها، معترفة بأنه لم يستوفِ معاييرها التحريرية لعدم التحقق الكافي من مصدر الأصوات أو دلالتها. لكن الاعتذار والسحب لم ينهيا الأمر.

وسّعت النيابة العامة الاتحادية تحقيقها الجنائي، واستدعت المسؤولين عن إعداد التقرير واعتماده ونشره. وأكد النائب العام المستشار حمد سيف الشامسي أن سحب المادة والاعتذار عنها لا يوقفان التحقيق، وأن الجهات المعنية ستحدد المسؤوليات وتتخذ الإجراءات القانونية المناسبة.

حمد سيف الشامسي

سحب المادة والاعتذار عنها لا يوقفان التحقيق

وتجاوزت تداعيات الحادث مجرد خطأ صحفي معزول، لتفتح نقاشا أعمق حول هيكل غرف الأخبار الدولية العاملة داخل الدولة. السؤال المحوري: من يقود عملية صنع القرار في هذه المؤسسات المؤثرة، وإلى أي مدى يفهم هؤلاء السياق المحلي في بلد استثمر بكثافة في جذب الإعلام العالمي؟

وعلى مدى عقود، بنت الإمارات مكانتها كمركز إعلامي إقليمي رائد، مقدمة بنية تحتية عالمية المستوى وحوافز سخية عبر مدن إعلامية مثل دبي ميديا سيتي وتو فور 54 في أبوظبي. تستضيف هذه المناطق الحرة آلاف الشركات وعشرات الآلاف من المهنيين، مع تراخيص مرنة ومرافق إنتاج وخدمات دعم حكومية. وتضم دبي ميديا سيتي وحدها أكثر من 4000 شركة، بينما يدعم نظيرها في أبوظبي المئات من الشركات الدولية والمحلية.

ويعكس هذا الانفتاح ثقة كبيرة في الإعلام العالمي، حيث يحصل المراسلون على اعتماد وتصاريح تصوير ووصول إلى الفعاليات. غير أن حادثة رويترز أبرزت أن هذه المزايا تأتي مع مسؤوليات.

وتسري القوانين الاتحادية، بما فيها تلك المتعلقة بتنظيم الإعلام ومكافحة الشائعات، على المنافذ الأجنبية كافة. نشر ادعاءات غير مثبتة حول حوادث أمنية في مدينة عالمية نابضة مثل دبي يحمل مخاطر حقيقية على السياحة والطيران والأسواق المالية والثقة العامة.

ويرى خبراء أن الخطأ يعكس مشكلة أعمق تتمثل في الاعتماد على منصات التواصل أو شهادات فردية غير مؤكدة دون الرجوع الجاد إلى القنوات الرسمية مثل وكالة أنباء الإمارات (وام) أو المكاتب الإعلامية المحلية.

وفي بيئة جيوسياسية معقدة، لا يُصنف مثل هذا التقصير مجرد سبق صحفي متعجل، بل قد يُنظر إليه كتهديد للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

ومن أبرز المطالب الناشئة عن النقاش زيادة إشراك المواطنين الإماراتيين في المناصب القيادية والتحريرية العليا داخل غرف الأخبار الدولية.

وأنتجت جامعات مثل جامعة الشارقة وزايد آلاف الخريجين في مجالات الإعلام والاتصال، لكن النقاد يلاحظون أن المواطنين غالبا ما يشغلون مناصب مساندة، بينما تبقى مواقع صنع القرار الرئيسية -مثل مديري الأخبار ورؤساء التحرير ومن يسمحون بنشر الأخبار العاجلة الحساسة- تحت سيطرة كوادر أجنبية في الغالب.

ويؤكد مؤيدو التوطين الأعمق أن الصحفي الإماراتي، بفهمه العميق لخصوصيات المجتمع والسياق الثقافي والإجراءات الرسمية، أقدر على التمييز بين الأحداث الروتينية والمعلومات المضللة. ويشددون على أن الأمر لا يعني فرض رقابة، بل إضافة طبقة تحقق إضافية للقصص التي تمس سمعة الدولة وأمنها.

وتشمل الدعوات برامج تدريب إلزامية وأهدافا مرحلية لتمثيل الإماراتيين في المناصب العليا، ومنحهم سلطة حقيقية وليس مناصب شكلية في العلاقات العامة أو الإدارة. وتشجع المنظمات الدولية المستفيدة من بيئة الإمارات على اعتبار ذلك شراكة تقلل الأخطاء والمخاطر القانونية وتحسن الوصول إلى المصادر والدقة السياقية.

وركز النقاش أيضا على تعزيز إجراءات التحقق الداخلية. وتشمل المقترحات مراجعات تحريرية متعددة المستويات لأي خبر محلي حساس، مع الرجوع الإلزامي إلى المصادر الرسمية قبل النشر.

وأظهرت قضية رويترز أن الاسم العالمي لا يمنح حصانة؛ إذ تدرس النيابة العامة كامل السلسلة التحريرية من جمع المعلومات إلى الاعتماد النهائي.

أمان متجذر

ويؤكد المسؤولون أن الدستور يحمي حرية التعبير، لكن الادعاءات الوقائعية -خاصة المتعلقة بحوادث أمنية- تتطلب أدلة قوية، وتختلف عن الرأي أو التحليل.

وأشار المسؤولون إلى أن السياسات المستقبلية قد تشهد تحديثاً للأطر التنظيمية الخاصة بمكاتب الإعلام الأجنبية، مع تحديد خطوط حمراء واضحة دون تقييد التغطية المهنية المشروعة. الهدف هو صحافة مسؤولة تحترم مصالح الدولة المضيفة مع الحفاظ على جاذبية الإمارات كمركز إعلامي.

وحافظت الإمارات طوال الفترة الماضية على توازن بين الانفتاح والسيادة، باستضافتها كبريات المنافذ الدولية، ما يُكسب الدولة رؤية وقوة ناعمة. وفي المقابل تتوقع الالتزام بالمعايير المهنية والقوانين المحلية.

قد يؤدي التدقيق الحالي إلى تعاون أقوى مثل برامج تدريب مشتركة أو شراكات مع الإعلام الوطني. وتدخل المنظمات الإعلامية الوطنية الخاصة ضمن النقاش أيضاً.

ورغم المزايا التي تحظى بها الجهات الحكومية، يمكن للمنافذ الوطنية المستقلة أن تلعب دوراً أكبر في تشكيل السرديات إذا حظيت بدعم من خلال العقود وبناء القدرات.

ومع استمرار التحقيق، تمثل حادثة رويترز دراسة حالة في تطور علاقة الدول المضيفة بالإعلام العالمي في عصر الرقمنة. فالنشر السريع لمعلومات غير مؤكدة يمكن أن يسبب ضررا فوريا حتى لو تم تصحيحه لاحقا.

قاضٍ أميركي يُوقف استحواذ باراماونت على وارنر بروس مؤقتا

واشنطن - أصدرت قاضية فيدرالية، الاثنين، قرارا بتعليق استحواذ شركة باراماونت سكاي دانس على شركة وارنر بروس ديسكفري مؤقتًا، مؤيدةً بذلك موقف اثنتي عشرة ولاية ذات أغلبية ديمقراطية، والتي رأت أن الصفقة البالغة قيمتها 110 مليارات دولار ستقضي على المنافسة في هوليوود.

وقد وافقت قاضية المحكمة الجزئية الأميركية أراسيلي مارتينيز - أولغين، على طلب الولايات بتعليق عملية الاندماج مؤقتًا ريثما تنظر في الطعن القانوني.

وقالت "ستواصل باراماونت ووارنر بروس العمل كشركتين منفصلتين وقادرتين على المنافسة في السوق، في انتظار قرار المحكمة في هذه القضية".

وحددت مارتينيز - أولغين جلسة استماع في الثالث من أغسطس، ستستمع خلالها إلى المرافعات بشأن تمديد فترة التعليق.

ويثير هذا القرار تساؤلات حول قدرة عائلة إليسون، الملياردير التي تسيطر على باراماونت، على إتمام الصفقة في الإطار الزمني الأمثل.

يقول بعض المقربين من المجموعة إن باراماونت كانت تهدف إلى إتمام الصفقة في وقت مبكر من هذا الشهر، قبل الموعد النهائي في الأول من أكتوبر، والذي بموجبه ستدفع الشركة 650 مليون دولار لمساهمي وارنر بروس ديسكفري كل ثلاثة أشهر في حال عدم إتمام الصفقة.

وقد عرضت باراماونت هذا المبلغ لضمان الاندماج وسط منافسة من نتفليكس، حيث واجهت منصة البث الأميركية اتهامات بأنها ستواجه صعوبة في إقناع الجهات التنظيمية.

ويؤجل هذا الحكم إحدى أكبر عمليات اندماج وسائل الإعلام في التاريخ، والتي كانت ستجمع اثنين من أكبر استوديوهات هوليوود السينمائية، بالإضافة إلى شبكتي الأخبار سي.بي.أس وسي.أن.أن، وخدمات البث إتش.بي.أو وبارمونت بلس وماكس.

وفي الأسبوع الماضي، رفع ائتلاف يضم اثني عشر مدعيًا عامًا ديمقراطيًا في الولايات، بقيادة روب بونتا من كاليفورنيا، دعوى قضائية لمنع الصفقة، قائلين إنها ستضعف المنافسة على تراخيص قنوات الكابل الأساسية، وكذلك على منتجي وموزعي الأفلام الضخمة.

وقال بونتا في بيان بعد صدور حكم يوم الاثنين "هذا انتصار أول حاسم في قضيتنا لضمان عدم رؤية هذا الاندماج الضخم النور أبدا".

قال متحدث باسم شركة باراماونت الاثنين إن الشركة "واثقة" من أن الأدلة ستُظهر عدم صحة حجج مكافحة الاحتكار.

وينصبّ التركيز الآن على الجلسة القادمة، حيث ستخضع قضية الولايات لاختبار أكثر جوهرية.

وقال مايك برولكس، المحلل في شركة فورستر، "لقد تجاوزت الولايات العقبة الإجرائية الأولى بإقناع المحكمة بوجود مسائل جوهرية كافية تتعلق بمكافحة الاحتكار تستدعي تعليقا مؤقتا".

وأضاف أن الثالث من أغسطس "سيُقدّم أول مؤشر حقيقي لكيفية نظر المحكمة في تعريف الولايات للسوق".

وقال جيمس واينغارتن، الشريك في شركة ميلبانك الذي يُمثّل ولاية كاليفورنيا، في جلسة استماع الجمعة، إن المنافسين السابقين سيصبحون زملاء إذا سُمح بإتمام عملية الاستحواذ.

وقال "إنها أكبر عملية اندماج في تاريخ هوليوود. قد لا نتفق على الكثير، لكننا نتفق مع الدفاع فيما ورد في الصفحة الأولى من أوراقه: إنها عملية اندماج ستُحدث تحولًا جذريًا في الصناعة".

> **محكمة فيدرالية توافق على طلب وقف الاندماج مؤقتا تتم دراسة تأثيره على المنافسة في هوليوود**

جادل محامو باراماونت بأن دمج الشركتين سيكون "مُكمّلاً" وليس مُنافساً للمنافسة، وأن "التخلي عن اشتراكات الكابل" قد قلّل من قوة امتلاك قنوات الكابل.

وقد تعهّد ديفيد إليسون، الرئيس التنفيذي لشركة باراماونت، والذي والده هو لاري إليسون، المؤسس المشارك لشركة أوراكل وحليف دونالد ترامب، بإصدار 30 فيلما سنويا لتبديد المخاوف بشأن خنق المنافسة.

وحثّت الولايات القاضي على "عدم الأخذ بوعود غير قابلة للتنفيذ من المديرين التنفيذيين". وقال محامي باراماونت إن الشركة عرضت على الولايات إنفاذ الاتفاق، ولم ترَ "أي مصلحة" في المقابل.

ووافقت وزارة العدل الأميركية على الصفقة الشهر الماضي بعد أن خلصت إلى أن الاستحواذ لن يضر على الأرجح بالمنافسة أو المستهلكين الأميركيين. وقد أشاد ترامب، حليف عائلة إليسون، بالاندماج.

ومن المتوقع أن يوافق منظمو الاتحاد الأوروبي على الاندماج هذا الشهر مع بعض التنازلات.

ومع ذلك، صرّحت وزيرة الثقافة البريطانية ليزا ناندي بأنها "تميل" إلى التدخل.

إيران تفرض تعتيما إعلاميا على الأضرار وسط تصعيد التوترات

طهران - أمر مجلس الأمن القومي الأعلى في إيران وسائل الإعلام المحلية بالامتناع عن نشر أي تفاصيل حول الأضرار أو الخسائر الناتجة عن الضربات العسكرية الأخيرة، في محاولة للحفاظ على الروح المعنوية ومنع تسرب معلومات قد تستغلها إسرائيل والولايات المتحدة، وفقاً لمصادر مطلعة على القرار.

ويأتي هذا التوجيه في وقت تشهد فيه إيران تصعيداً عسكرياً مباشراً مع إسرائيل والولايات المتحدة، حيث أدت الضربات المتبادلة إلى حدوث أضرار في مواقع عسكرية ومنشآت بنية تحتية حساسة.

ويحظر القرار الذي صدر خلال اجتماع طارئ للمجلس، بث أي صور أو أرقام أو تقارير ميدانية تتعلق بالخسائر البشرية أو المادية، ويُلزم الإعلام بالتركيز على "الانتصارات" والقدرة على الصمود.

وقال مصدر مطلع على مداولات المجلس، طلب عدم الكشف عن هويته، إن "الأولوية الآن هي الحفاظ على الاستقرار الداخلي ومنع العدو من تقييم حجم الضرر بدقة". وأضاف أن التوجيهات تشمل وسائل الإعلام الحكومية والخاصة على حد سواء، مع تهديدات بعقوبات شديدة للمخالفين، بما في ذلك الإغلاق أو الملاحقة القضائية بتهمة "نشر معلومات تضر بالأمن القومي".

ويعد التعتيم الإعلامي أداة تقليدية للنظام الإيراني في أوقات الأزمات. خلال الاحتجاجات الداخلية أو التوترات العسكرية السابقة، فرضت السلطات قيوداً مشابهة على تغطية الخسائر، مع التركيز على سرديات البطولة والمقاومة.

وأفاد دبلوماسي غربي في طهران بأن "إيران تحاول السيطرة على السرد الإعلامي لتقليل التأثير النفسي للضربات، خاصة مع تقارير استخباراتية غربية تتحدث عن أضرار ملموسة في برنامجها الصاروخي ومنشآت نووية".

من جانبها، نفت السلطات الإيرانية رسمياً وقوع خسائر كبيرة، مؤكدة أن دفاعاتها الجوية أسقطت معظم الصواريخ والطائرات المسيرة المهاجمة. ونقلت وسائل إعلام رسمية مثل التلفزيون الحكومي ووكالة فارس أن "العدو فشل في تحقيق أهدافه"، مع التركيز على مشاهد احتفالات وتصريحات قادة الحرس الثوري.

وقال محلل إيراني مقيم في الخارج، فضل عدم الكشف عن هويته لأسباب أمنية، إن "هذا النوع من التعتيم قد يحقق هدفه قصير الأمد داخلياً، لكنه يفقد مصداقية النظام على المدى الطويل، خاصة مع توفر مصادر مستقلة وتقارير وصور من شركات الأقمار الصناعية".

وتاريخياً، لجأت إيران إلى سياسات مشابهة خلال الحرب العراقية - الإيرانية (1980 - 1988) وفي مواجهات لاحقة مع إسرائيل. ويُشرف مجلس الأمن القومي الأعلى، الذي يترأسه الرئيس ويضم قادة عسكريين وأمنيين رفيعي المستوى، على مثل هذه القرارات تحت إشراف المرشد الأعلى.

ويخشى مراقبون أن يؤدي التعتيم إلى انتشار الشائعات، مما يزيد من التوتر الداخلي. من جهة أخرى، قالت منظمات حقوقية دولية إن مثل هذه التوجيهات تُشكل انتهاكا لحرية التعبير، وتُعيق قدرة الشعب الإيراني على معرفة الحقيقة حول الوضع الأمني والاقتصادي.

وأكد مسؤول إيراني كبير أن "السياسة الإعلامية تهدف إلى حماية المصالح الوطنية في زمن الحرب"، دون الخوض في تفاصيل القرار.

ورغم التوجيهات الصارمة الصادرة عن مجلس الأمن القومي، يواجه النظام الإيراني صعوبة متزايدة في فرض تعتيم إعلامي كامل على الأضرار والخسائر. فقد أصبح انتشار الهواتف الذكية وتطبيقات التواصل الاجتماعي مثل تليغرام وإنستغرام وإكس أداة قوية تتجاوز الرقابة التقليدية، حيث يوثق المواطنون العاديون مشاهد من المدن المتضررة وينشرونها بسرعة قبل أن تتمكن السلطات من حظرها.

وأظهرت مقاطع فيديو وصور منتشرة على نطاق واسع، رغم حملات الحذف السريع، أضراراً في مبانٍ سكنية ومنشآت صناعية في مناطق مختلفة، مما يتناقض مع السرد الرسمي الذي يتحدث عن "أضرار محدودة" أو "هجمات فاشلة". ويقول ناشطون إيرانيون إن آلاف المستخدمين يلجأون إلى الشبكات الافتراضية الخاصة (في.بي.إن) للالتفاف على القيود الحكومية.

ويُشكل هذا الواقع تحدياً كبيراً للسلطات، التي اعتادت في الماضي على السيطرة شبه الكاملة على وسائل الإعلام التقليدية. ففي السنوات الأخيرة، أدى انتشار الهواتف الذكية بين أكثر من 80 في المئة من السكان إلى تحول المواطن العادي إلى "مراسل ميداني" غير رسمي، مما يجعل فرض السرد الواحد أمراً شبه مستحيل في أوقات الأزمات.

ويرى محللون أن هذا "التسريب الرقمي" قد يؤدي إلى نتائج عكسية، إذ يغذي الشائعات والارتباك داخل المجتمع الإيراني، بينما يوفر للجهات الخارجية مواد خاما تساعد على تقييم حجم الضرر الحقيقي. وفي الوقت نفسه تكثف السلطات جهودها في مراقبة الحسابات النشطة واعتقال بعض المستخدمين الذين ينشرون محتوى "حساسا".

دعاية في اتجاه واحد

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

العليمي يلوح بالحرب... فهل يمتلك أدواتها؟

السياسة لا تقاس فقط بمشروعية الأهداف

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لم يكن خطاب رئيس مجلس القيادة الرئاسي اليمني رشاد العليمي، الذي دعا فيه الشعب والقبائل والقوى الوطنية إلى الالتفاف حول القوات المسلحة لاستعادة مؤسسات الدولة وإنهاء انقلاب الحوثيين، مجرد رسالة تعبئة داخلية، بل حمل في توقيته ودلالاته أبعادا سياسية ترتبط بالتصعيد الذي تمارسه إيران ضد دول الخليج ومصالحها، خاصة عرقلة تصدير النفط عبر مضيق هرمز والتلويح بتعطيل أي مساع سعودية للتصدير عبر البحر الأحمر.

من حيث المبدأ، لا يمكن الاعتراض على دعوة رئيس أي دولة، حتى وإن لم يكن منتخبا ولا يحصل على توافق واسع، إلى استعادة مؤسساتها وإنهاء انقلاب مسلح قسّم الدولة واحتكر أهم سواحلها. فهذا هو الهدف الذي قامت من أجله الشرعية اليمنية والتحالف العربي، وهو أيضا المطلب الذي ينتظره ملايين اليمنيين منذ انقلاب الحوثيين وسيطرتهم على صنعاء.

إعلان الحرب لا يكفي دون امتلاك أدواتها فغياب الغطاء الجوي والدعم الإقليمي يجعل المعركة ضد الحوثيين مغامرة محفوفة بالمخاطر أكثر من كونها خطة مدروسة للتحرير

لكن السياسة لا تقاس فقط بمشروعية الأهداف، وإنما أيضا بمدى توافر الأدوات القادرة على تحقيقها. وهنا تبرز بعض الأسئلة المهمة: هل يعكس خطاب العليمي استعدادا فعليا لمعركة واسعة، أم أنه محاولة لتأكيد الشرعية؟ أم استجابة لرغبة خارجية؟ أم مغامرة شخصية؟

لو كان هذا النداء قد صدر قبل عام أو أكثر، متزامنا مع إعادة ترتيب القوات الحكومية وبناء تحالف سياسي واسع داخل معسكر الشرعية، لكان من الممكن اعتباره بداية مرحلة جديدة. أما اليوم فلا تبدو المؤشرات العسكرية والسياسية كافية لتبرير الاعتقاد بأن الشرعية قادرة على خوض حرب ضد الحوثيين.

جاء خطاب العليمي في ظل حملة تشكيك متزايدة في فاعلية مجلس القيادة الرئاسي، سواء من الحوثيين الذين يقدمون الحكومة باعتبارها كيانا فاقدا للتأثير، أو من قوى داخل الشرعية نفسها، وفي مقدمتها المجلس الانتقالي الجنوبي الذي لا يخفي خلافاته مع الحكومة بشأن مستقبل الدولة وشكل النظام السياسي ويتمسك بفكرة الانفصال ويرفض أي تعويم لها عبر شراء الوقت وإطلاق الوعود.

ومن هذه الزاوية، يمكن فهم تلويح العليمي بالحرب باعتباره محاولة لإعادة تقديم مجلس القيادة بوصفه مركز القرار الوطني، وإظهار أنه لا يزال يمتلك زمام المبادرة، وأنه ليس مجرد إطار سياسي يعيش على هامش التطورات العسكرية والإقليمية.

لكن المشكلة أن إعلان الحرب شيء، وامتلاك أدواتها شيء آخر. فالشرعية اليمنية لا تواجه جماعة محلية محدودة الإمكانات، بل تنظيما تحول خلال سنوات الحرب إلى قوة عسكرية تمتلك بنية قتالية متماسكة، وخبرات ميدانية متراكمة، ومنظومات صاروخية وطائرات مسيرة، إضافة إلى شبكة قيادة وسيطرة أثبتت قدرتها على الصمود رغم الضربات الغربية والإسرائيلية الأخيرة.

كما أن الحوثيين نجحوا في بناء عقيدة قتالية تقوم على التعبئة الأيديولوجية والمذهبية، وهو ما منحهم قدرة أكبر على الاستمرار في القتال مقارنة بمعسكر الشرعية الذي لا يزال يضم تشكيلات عسكرية متعددة الولاءات والانتماءات القبلية والحزبية والمناطقية.

ولا يعني ذلك التقليل من قدرات القوات الحكومية أو القبائل اليمنية، فهذه الأخيرة أثبتت في أكثر من محطة قدرتها على حسم معارك برية عندما تتوافر لها القيادة الموحدة والإسناد المناسب. لكنّ للحرب وجها آخر أكثر تأثيرا وبات سمة للحروب الجديدة، وهو امتلاك منظومات متكاملة من الاستطلاع والدفاع الجوي والصواريخ والطائرات المسيرة والقدرات اللوجستية، وهو ما يتفوق فيه الحوثيون.

وهنا تظهر المعضلة الأساسية. فالجيش الحكومي لا يمتلك غطاء جويا قادرا على تحييد التفوق الحوثي في مجال الصواريخ والطائرات المسيرة، ما يجعل أي عملية واسعة بحاجة إلى دعم سعودي مباشر، سواء عبر الطيران أو منظومات الدفاع الجوي أو الاستخبارات العسكرية.

غير أن هذا السيناريو لا يبدو الخيار المفضل بالنسبة إلى الرياض. فالسعودية عملت خلال الأعوام الأخيرة على تخفيض مستوى انخراطها المباشر في الحرب، وسعت إلى نقل عبء المواجهة تدريجيا إلى الحكومة اليمنية، بحيث تصبح هي الطرف الذي يقود عمليات استعادة الشمال وتأمين السواحل والموانئ والمنافذ البحرية. وهو خيار مفهوم، فالحرب يمنية – يمنية، وتدخل التحالف العربي كان للمساعدة التقنية وليس للاشتراك في الحرب بشكل مباشر.

وأي انخراط سعودي في المواجهة العسكرية المباشرة سيمنح الحوثيين فرصة لإعادة إنتاج الخطاب الذي طالما استخدموه، والقائم على تصوير الحرب باعتبارها مواجهة مع المملكة، لا مع الحكومة اليمنية. كما أنها ستفتح الباب أمام موجة جديدة من الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة ضد المدن والمنشآت السعودية، وهو ما تحاول الرياض تجنبه.

إضافة إلى ذلك، فإن تحويل السعودية مجددا إلى الطرف الرئيسي في الحرب سيمنح إيران مبررا إضافيا لمواصلة تمويل الحوثيين وتسليحهم تحت عنوان مواجهة "العدوان الخارجي"، وهو الخطاب الذي تستثمر فيه طهران منذ بداية الأزمة.

ولا تبدو البيئة الداخلية أكثر استعدادا لخوض معركة حاسمة. ففي الأسابيع الأخيرة لم تقد رئاسة مجلس القيادة حراكا سياسيا يمكن أن يؤسس لجبهة وطنية موحدة، أو يخلق حاضنة شعبية واسعة للحرب. وما زالت الخلافات داخل معسكر الشرعية أكبر من أن تسمح بتشكيل قيادة سياسية وعسكرية متماسكة.

فالهوة لا تزال واسعة بين الحكومة والمجلس الانتقالي الجنوبي، وهناك شكوك في التوصل إلى تحالف في ظل مواقف وخلافات جذرية بين أطراف يمنية داخل الشرعية أو قريبة منها وبين حزب الإصلاح الساعي لتشكيل جبهة مناوئة للحوثيين، في حين تستمر الخلافات بين القوى القبلية والسياسية حول شكل الدولة ومستقبل الجنوب وتقاسم السلطة بعد انتهاء الحرب.

ولهذا يصبح من الصعب تصور قيام تحالف يمني واسع في فترة زمنية قصيرة، خاصة إذا كان خطاب العليمي يوحي بأن المعركة أصبحت مسألة عاجلة لا تحتمل مزيدا من الانتظار. فالحروب لا تبدأ فقط بإصدار بيانات التعبئة، وإنما تسبقها عادة عملية طويلة لإعادة بناء الثقة بين الحلفاء، وتوحيد غرف العمليات، وتأمين الموارد، وصياغة رؤية سياسية لليوم التالي وحملة إعلامية داخلية وخارجية لشرعنة أي هجوم.

في الحالة اليمنية، ما زالت أسئلة ما بعد الحرب أكثر تعقيدا من أسئلة الحرب نفسها.

فحتى لو تحقق تقدم عسكري ضد الحوثيين، فإن الخلافات بشأن مستقبل الجنوب، ونظام الأقاليم، وتقاسم السلطة، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، يمكن أن تعيد إنتاج الصراع بين القوى التي يفترض أنها تقاتل اليوم في خندق واحد.

ولهذا فإن بناء جبهة وطنية حقيقية يحتاج إلى ما هو أكثر من دعوات التعبئة. إنه يحتاج إلى تفاهمات سياسية عميقة، وربما إلى توافقات إقليمية تمنح القوى اليمنية ضمانات بأن الخلافات المؤجلة لن تتحول إلى حروب جديدة بعد انتهاء المواجهة مع الحوثيين.

خطاب العليمي يعكس رغبة في استعادة زمام المبادرة اليمنية لكنه يواجه واقعًا معقدًا تتنازع فيه الولاءات السياسية والعسكرية وتغيب فيه أدوات الحسم الفعلية

ومن دون مثل هذه التفاهمات، سيظل من الصعب جمع القوى اليمنية المتنافسة تحت راية واحدة، مهما بلغت خطورة التهديد الحوثي.

ولا شك أن الحكومة اليمنية، ومعها القوى الإقليمية الداعمة لها، بحاجة إلى تحرك عسكري يحد من قدرة الحوثيين على ترسيخ سلطتهم، ويجبرهم على التراجع عن تهديد الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب، ويعيد التوازن إلى المشهد اليمني.

لكن هذا الهدف يتطلب شروطا لا تبدو متوافرة حتى الآن؛ من إعادة بناء المؤسسة العسكرية، إلى توحيد الصف السياسي، مرورا بصياغة خطاب إعلامي قادر على استعادة ثقة اليمنيين، وانتهاء بتوفير غطاء إقليمي يعطي إشارات قوية للفرقاء اليمنيين بأن يتحدوا في الحرب ويؤجلوا الخلافات. كما يعطي ضمانات لمرحلة ما بعد الحرب بشأن التسوية السياسية، خاصة ما تعلق بالموقف من انفصال الجنوب ونظام الأقاليم وتوزيع عائدات النفط.

الحكومة اليمنية والمحيط الإقليمي في حاجة إلى تحرك عسكري يمني لإضعاف حكم الجماعة الحوثية وإجبارها على الكف عن تهديدات الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب. لكن الأمر يتطلب استعدادا عسكريا وسياسيا وإعلاميا والتفافا شعبيا لا يبدو أن الحكومة الحالية تمتلكهما أو قادرة على تحقيقهما في المدى المنظور، ما يوحي بأن خطاب العليمي أقرب إلى رد الفعل أو المغامرة منه إلى إظهار القدرة على خوض الحرب وامتلاك أدواتها لأجل تحرير السواحل وحماية الملاحة وفرض خيار تصدير النفط.

النظام الإيراني... على طريقة صدّام

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

يدعو تصرّف النظام الإيراني في أيامنا هذه، خصوصا في ظلّ اعتداءاته على دول الخليج العربي، مع تركيز خاص على الكويت، إلى مقارنة بينه وبين نظام صدّام حسين.

يمكن الذهاب إلى حد القول إنّ النظام الإيراني في 2026 يشبه، إلى حدّ كبير، نظام صدّام حسين صيف العام 1990. وقتذاك، في الثاني من آب – أغسطس 1990، اجتاح الجيش العراقي الكويت غير مدرك لعواقب مغامرة مجنونة من هذا النوع. لم يكن صدّام على دراية بخطورة ما أقدم عليه ومعنى وضع يده على ثروات الكويت. لم يتوقع، بعقله الريفي الذي لا يعرف شيئا عن العالم، قيام تحالف دولي أجبره في نهاية المطاف على التراجع والانسحاب من الكويت. كان سقوط صدّام عظيما، كذلك سيكون سقوط نظام "الجمهوريّة الإسلاميّة" الذي لا يعي أنّه محظور على دولة مثل إيران ممارسة دور يفوق حجمها والسيطرة على مضيق هرمز والسعي، في الوقت ذاته، إلى إغلاق مضيق باب المندب عن طريق الحوثيين في اليمن.

يصعّد النظام الإيراني مع دول الخليج العربي والأردن هربا من أزمته الداخلية. في الماضي القريب، قبل 36 عاما، اعتقد الراحل صدّام حسين أن هروبه إلى الكويت، الدولة المستقلّة التي اجتاحها وحولها إلى محافظة عراقية تحمل الرقم 19، يشكل مخرجا له. كان ما ارتكبه الرئيس العراقي، وقتذاك، خطأ قاتلا أودى به وبالعراق وبنظامه. ليس مستبعدا أن يكون إصرار "الجمهوريّة الإسلاميّة" على إغلاق مضيق هرمز والاعتداء على جيرانها تعبيرا عن ممارسة لعبة ذات طابع انتحاري شبيهة بتلك التي مارسها صدّام.

في أيامنا هذه، يرتكب النظام الإيراني الذي اعتقد أنّه يملك أوراقا كثيرة، في العراق واليمن ولبنان، الخطأ نفسه الذي ارتكبه الدكتاتور العراقي الراحل الذي كانت لديه حسابات خاطئة. في أساس تلك الحسابات جهله بالمنطقة والعالم. ليس مستبعدا أن يلقى النظام الإيراني، عاجلا أم آجلا، المصير نفسه لنظام صدّام. لا لشيء سوى لأن الهرب من مشاكل الداخل إلى مهاجمة دول الجوار لا يمكن سوى أن تكون له عواقب وخيمة. أكثر من ذلك، إن مثل هذا التوجّه دليل ضعف وليس دليل قوّة.

يصعب إيجاد تفسير آخر للتصعيد الإيراني الذي يستهدف دول الخليج العربيّة والأردن غير حال الإفلاس التي يعاني منها نظام "الجمهوريّة الإسلاميّة" الذي اعتقد منذ قيامه في العام 1979 أن في استطاعته ممارسة لعبة الابتزاز إلى ما لا نهاية. في النهاية، إنّ الهرب إلى مهاجمة دول الجوار لن يغطي على الانقسامات العميقة التي يعاني منها النظام الإيراني حيث لا يزال "المرشد" مجتبى خامنئي مختفيا.

في الواقع، يرفض النظام الإيراني أخذ علم بما استجدّ في المنطقة والعالم. ليس مقبولا لأي دولة اللعب على حبال إغلاق الممرات الدوليّة، خصوصا مضيق هرمز الذي يعتبر أحد شرايين التجارة العالميّة. الأهمّ من ذلك كلّه، يوجد رفض إيراني لاستيعاب معنى أنّ "الجمهوريّة الإسلاميّة" باتت تقاتل على أرضها بعدما كانت في الماضي القريب تقاتل على أراضي الآخرين. كانت تقاتل في العراق عبر أدواتها المحليّة من ميليشيات مذهبيّة وكانت تقاتل في غزّة وكانت تقاتل من جنوب لبنان بأجساد اللبنانيين. كانت تقاتل خصوصا في سوريا حيث كان النظام الأقلّوي لبشّار الأسد مجرّد تابع لـ"الجمهوريّة الإسلاميّة".

قاتلت إيران العراق بين 1980 و1988. لم تستطع هزيمة صدّام حسين، لكنّها أنهكت نظامه اقتصاديا. خرج العراق من الحرب التي خاضها مع "الجمهوريّة الإسلاميّة" مفلسا. لم يدر صدّام حسين ما الذي يفعله بجيش جرار خاض حربا طويلة وخرج منها بشبه انتصار. قرّر أن يأخذ هذا الجيش إلى الكويت بعدما عجز عن فهم أنّه كان عليه العمل على إيجاد حلول من نوع آخر تشمل العمل مع الدول المحيطة على إيجاد تفاهمات تؤدي إلى حلول داخلية في العراق. تبدأ هذه الحلول بالبدء بخفض حجم الجيش العراقي الذي بات أقرب إلى مشكلة عراقيّة.

يشهد النظام الإيراني اليوم تكرارًا مأساويًا لتجربة صدّام حسين عام 1990، إذ يقود مغامراته الإقليمية دون إدراك لعواقبها، متجاهلًا موازين القوى الدولية

مثلما لم يستطع العراق الخروج من أزمة ما بعد شبه الانتصار الذي حققه على إيران، ليس ما يشير إلى أن إيران، كنظام، تدرك أبعاد انتقال حرب إليها والنتائج التي ستترتب على ذلك. مثلها مثل صدّام، تقيم حسابات لا علاقة لها بالواقع. في مقدّم هذه الحسابات أنّه سيكون لديها دعم روسي وصيني في المواجهة التي تخوضها مع إدارة الرئيس دونالد ترامب. ترفض "الجمهوريّة الإسلاميّة" رؤية أن روسيا غارقة إلى ما فوق أذنيها في الوحول الأوكرانيّة. يجد الرئيس فلاديمير بوتين نفسه مضطرا إلى الاستعانة بكوريا الشمالية، بالسلاح والذخائر والرجال، لعل ذلك يساعده في تعويض النقص الذي يعاني منه الجيش الروسي. أمّا الصين، فإن لديها مصالح متشعبة في المنطقة. لديها مصالح مع كلّ دول مجلس التعاون الخليجي، خصوصا مع المملكة العربيّة السعودية ودولة الإمارات العربيّة المتحدة. إضافة إلى ذلك، لا مصلحة للصين بسيطرة إيرانيّة على مضيق هرمز. تفضّل بقاء هذا المضيق مفتوحا أمام التجارة الدوليّة.

في عالم تغيّر ومنطقة تغيّرت، يرفض النظام الإيراني أن يتغيّر. يعتبر التغيير، بمعنى التكيف مع المعطيات الجديدة، تهديدا له. لا يدري هذا النظام أن درس صدّام حسين ماثل أمامه. صحيح أنّه كان عدوا لصدّام لكنّ هناك شبها كبيرا بين النظامين، خصوصا لجهة العجز عن التكيّف مع ما يدور في العالم. على سبيل المثال وليس الحصر، راهن الرئيس العراقي الراحل في 1990 على أنّه لا يزال للاتحاد السوفياتي وجود ما على صعيد التوازنات الدولية. لم يع إلّا متأخرا أن الاتحاد السوفياتي كان في طريقه، في تلك السنة، إلى أن يصبح من الماضي... لأسباب اقتصاديّة قبل أي شيء. هل يفهم النظام الإيراني في الوقت الراهن أن الهرب إلى خارج الحدود لا يفيد في شيء ولا يبني اقتصادا؟

إيران تمارس دورا يفوق حجمها

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

فوكلاند، جزر طبيعية بأبعاد رياضية وجيوسياسية

د.جيرار ديب
كاتب ومحلل سياسي لبناني

أكد ليونيل ميسي، نجم المنتخب الأرجنتيني لكرة القدم، أهمية الفوز الذي حققه منتخب بلاده على إنجلترا بنتيجة 2 – 1 في الدور نصف النهائي لكأس العالم. وقال ميسي عقب المباراة "الجماهير أرادت الفوز بهذه المباراة أكثر من أي انتصار آخر، بسبب ما تمثله مواجهة إنجلترا في الدور نصف النهائي ولأنها تقودنا إلى نهائي جديد لكأس العالم".

جزر فوكلاند تمثل نزاعًا سياديًا ممتدًا بين بريطانيا والأرجنتين حيث تتداخل الأبعاد التاريخية والعسكرية مع المصالح الاقتصادية لتبقى القضية رمزًا لصراع الجغرافيا والسياسة

تحدث ميسي رياضيًا، إذ لا نقاش في أن ما قاله يرتبط برغبة كل منتخب في الوصول إلى النهائي، وبحماسة جماهيرية لتحقيق الفوز بكأس العالم. لكن أهداف الأرجنتين التي دخلت مرمى المنتخب الإنجليزي لم تبق ضمن إطارها الرياضي، بل تخطت الحماسة الرياضية لتصبح رسائل سياسية.

فحركة الإسكات وعدم الإنصات التي قام بها اللاعب الأرجنتيني إنزو فرنانديز بعد تسجيله هدف التعادل في مرمى إنجلترا في نصف نهائي كأس العالم 2026، والتي توجه بها إلى جماهير المنتخب الإنجليزي، أعطيت أبعادًا سياسية عند الكثير من المعلقين، كما عند الأغلبية الساحقة من الإنجليز.

لم يقف الاستفزاز عند حركة إنزو، فالمنتخب الأرجنتيني احتفل هو أيضًا سياسيًا بفوزه على المنتخب البريطاني. هذا ما دفع الحكومة البريطانية إلى التدخل ومطالبة الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) بفتح تحقيق مع منتخب الأرجنتين، عقب رفع لاعبيه لافتة تحمل رسالة سياسية خلال احتفالاتهم بالفوز، حسب ما ذكرته وكالة "أسوشيتد برس".

وفي هذا السياق قال وزير الأعمال البريطاني، بيتر كايل، إن تصرف لاعبي الأرجنتين "غير مناسب على الإطلاق"، مؤكدًا أن "البطولات الرياضية، وفي مقدمتها كأس العالم، يجب أن تبقى بعيدة عن الرسائل السياسية".

تفاعل غير مسبوق للإنجليز تخطى خسارة منتخبهم، حيث دعا نايل غاردينر، المستشار السابق لرئيسة الوزراء البريطانية الراحلة مارغريت تاتشر، إلى "سحب تأشيرات العمل البريطانية من اللاعبين الأرجنتينيين في الدوري الإنجليزي الممتاز"، وذلك بعد رفع لاعبي الأرجنتين لافتة كتب عليها "جزر المالوين أرجنتينية"، عقب فوزهم في نصف نهائي كأس العالم على إنجلترا.

خلاف تخطى التسميات بين جزر فوكلاند البريطانية، أو التسمية الأرجنتينية لها بـ"مالفيناس". فالجزر اليوم تُعد إقليمًا تابعًا لبريطانيا ويشهد نزاعًا سياديًا وتاريخيًا ممتدًا، حيث تطالب الأرجنتين باستعادتها منذ عام 1833، في حين تؤكد لندن سيطرتها مستندة إلى حرب عام 1982 واستفتاء عام 2013، الذي أيد فيه السكان البقاء تحت التاج البريطاني.

تتمتع جزر فوكلاند بأهمية إستراتيجية واقتصادية كبيرة، فهي تمنح المملكة المتحدة موطئ قدم عسكريا في جنوب المحيط الأطلسي عبر قاعدة "ماونت بليزنت" الجوية، وتوفر حقوقًا اقتصادية واسعة لاستغلال الثروات السمكية والنفطية، فضلًا عن كونها نقطة انطلاق حيوية للأبحاث القطبية الجنوبية.

توسع موضوع الصراع على ملكية الجزر ليدخل "بازار" الابتزاز السياسي عندما لوّح الرئيس الأميركي دونالد ترامب فعليًا بسحب اعتراف بلاده بسيادة المملكة المتحدة على جزر فوكلاند، وذلك في إطار ضغوط دبلوماسية وتجارية واسعة على دول حلف الناتو وحلفائه الأوروبيين. يُعد هذا الموقف بمثابة "زلزال دبلوماسي" وتقارب غير مسبوق من الإدارة الأميركية لدعم موقف الأرجنتين نظرًا للعلاقة الوثيقة التي تربط ترامب بالرئيس الأرجنتيني خافيير ميلي.

ترامب، غير المهتم بأمر أحقية ملكية الجزيرة وربما لعلاقته بالرئيس خافيير، استغل واقع الصراع وذهب بعيدًا في ممارسة الضغط على المملكة المتحدة بقيادة "كير ستارمر"، لاسيما في موقفه الرافض لتدخل حكومته في إسناد الحرب الأميركية على إيران من أجل إعادة فتح مضيق هرمز. يمتهن ترامب لغة الابتزاز في السياسة، كيف لا وهو من حوّل صراعًا تاريخيًا وجغرافيًا حول الملكية إلى صدام سياسي يهدف إلى "لي ذراع بريطانيا" في شأن القضايا الدولية، وربما كان هذا سبب سلسلة الاستقالات الوزارية في حكومة ستارمر التي دفعت بالأخير نحو تقديم الاستقالة. ألم يعلّق ترامب على منصته "تروث سوشيال" عن الاستقالة بأن "ستارمر أضرّ بنفسه كثيرًا"؟!

تاريخ من الصراع العسكري والاستغلال الدبلوماسي بين الأرجنتين وبريطانيا حول أحقية ملكية جزر فوكلاند، الذي لن ينتهي عبر الحسم العسكري ولا بالإطار الدبلوماسي. لهذا ستبقى الرياضة، تحديدًا كرة القدم، أفضل وسيلة تعبيرية عند كلا المنتخبين كلما التقيا، من أجل تحويل الأهداف في الرياضة إلى رسائل في السياسة، عند الدول التي لم تزل عالقة سياساتها في حروب الماضي والجغرافيا.

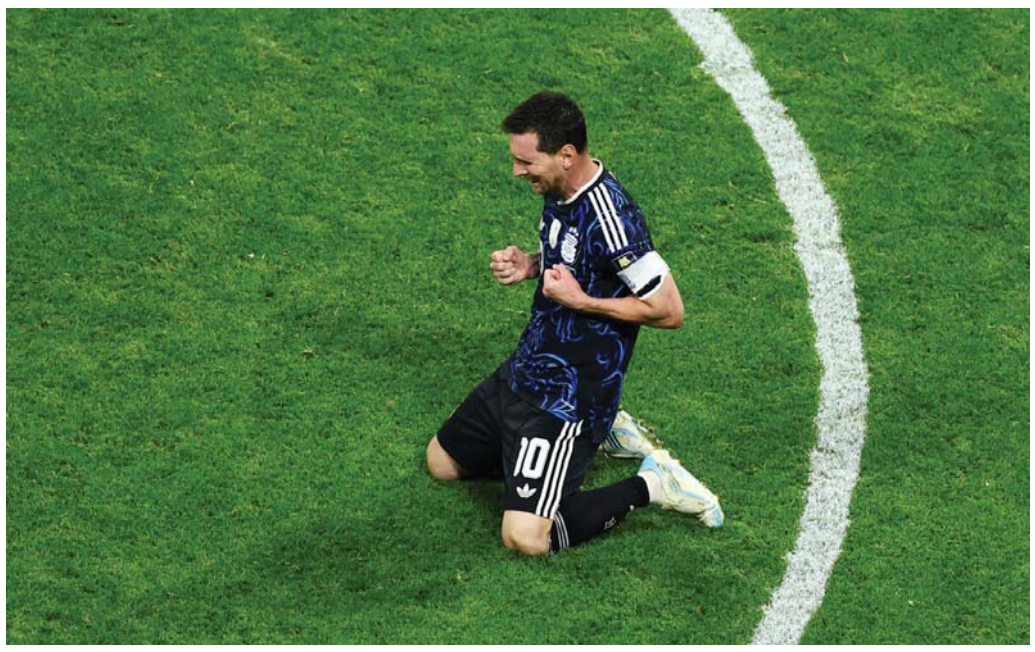

أهداف الأرجنتين لم تبق ضمن إطارها الرياضي

الأزمات الاقتصادية في المنطقة... تهديد أم فرصة لإصلاح سياسي

محمد حسن الساعدي
كاتب عراقي

تواجه الديمقراطية في منطقتنا اختبارًا وجوديًا، إذ تتقاطع الأزمات الاقتصادية مع تحديات سياسية، مما يجعل الثقة بين المواطن والدولة رهينة بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية.

إن نجاح الحكومات في ربط الإصلاح الاقتصادي بالإصلاح السياسي يمنح الديمقراطية شرعية أقوى، بينما الفشل يفتح الباب أمام نزعات سلطوية، ويهدد استقرار المنطقة بأكملها.

منذ أن أرست الديمقراطية الحديثة أولى أسس بنائها وأخذت تشق طريقها في العالم، ارتبطت قوتها بقدرة الدولة على توفير الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. فالديمقراطية ليست مجرد صناديق اقتراع أو شعارات سياسية، بل هي منظومة متكاملة تحتاج إلى أرضية صلبة من العدالة الاقتصادية والرفاه الاجتماعي كي تزدهر وتستمر. وفي منطقتنا، وعلى الرغم من شيوع الأزمات الاقتصادية، من تضخم وبطالة وديون خارجية، يبقى السؤال حاضرًا بإلحاح: هل يمكن للديمقراطية أن تصمد أمام هذه الضغوط، أم أن الأزمات ستفتح الباب أمام نزعات سلطوية جديدة؟

شهدت دول عديدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أزمات اقتصادية خانقة؛ ففي لبنان مثلًا أدى الانهيار المالي إلى تراجع ثقة المواطنين بالمؤسسات السياسية. وتتقاطع الأزمة الاقتصادية مع أزمة ثقة في المسار الديمقراطي، حيث يجد المواطن نفسه أمام معادلة صعبة: كيف يمكن أن يثق بعملية سياسية لا توفر له أساسيات الحياة الكريمة؟ هذه الأمثلة والأسئلة تعكس بوضوح أن الاقتصاد ليس مجرد عامل مساعد، بل هو عنصر حاسم في تحديد مصير التجارب الديمقراطية.

نجاح الحكومات في ربط الإصلاح الاقتصادي بالإصلاح السياسي يمنح الديمقراطية شرعية أقوى بينما الفشل يفتح الباب أمام نزعات سلطوية تهدد استقرار المنطقة ومستقبلها السياسي

إن المواطن الذي يعاني من ضيق اقتصادي يفقد تدريجيًا الثقة بالعملية السياسية، ويصبح أكثر عرضة للبحث عن حلول سريعة حتى لو جاءت على حساب الديمقراطية نفسها. فارتفاع الأسعار وتراجع القدرة الشرائية يضعان المواطن في مواجهة مباشرة مع السلطة، ويجعلان المطالب الاقتصادية أولوية على حساب المطالب السياسية. وفي هذا السياق تلعب منصات التواصل الاجتماعي دورًا مزدوجًا؛ فهي من جهة أداة ضغط قوية تنقل الغضب الشعبي بسرعة وتخلق حالة من التعبئة المستمرة، لكنها من جهة أخرى قد تؤدي إلى استقطاب حاد يضعف الحوار الديمقراطي ويحوّل النقاش العام إلى ساحة صراع لا تنتهي.

ولا يمكن إغفال دور القوى الدولية في هذا المشهد؛ فالدعم المالي أو العقوبات الاقتصادية من الخارج قد يغيران موازين القوى الداخلية بشكل مباشر. ففي بعض الحالات ساهمت المساعدات الدولية في إنقاذ أنظمة من الانهيار، وفي حالات أخرى كانت العقوبات سببًا في تعميق الأزمات الداخلية وتراجع المسار الديمقراطي. هذه التدخلات تجعل مستقبل الديمقراطية في المنطقة مرتبطًا ليس فقط بالقرار الداخلي، بل أيضًا بالمعادلات الدولية التي تتحكم في مسار الاقتصاد والسياسة معًا.

المستقبل مفتوح على عدة احتمالات: فقد تنجح الحكومات في ربط الإصلاح الاقتصادي بالإصلاح السياسي فنشهد استقرارًا نسبيًا يعزز الديمقراطية، أو قد يستمر الفشل الاقتصادي فيقود إلى تراجع الديمقراطية وصعود أنظمة أكثر تشددًا. وهناك احتمال ثالث يتمثل في استمرار الديمقراطية شكليًا عبر الانتخابات بينما يتراجع جوهرها مع ضعف المؤسسات وتزايد الضغوط الاقتصادية. وهذه السيناريوهات ليست مجرد افتراضات نظرية، بل هي احتمالات واقعية يمكن أن نلمس ملامحها في تجارب دول عديدة حولنا.

الديمقراطية ليست مجرد مجموعة آليات انتخابية، بل هي عقد اجتماعي يقوم على الثقة بين المواطن والدولة. وهذه الثقة لا يمكن أن تُبنى في ظل أزمات اقتصادية متفاقمة، بل تحتاج إلى سياسات اقتصادية عادلة تضمن للمواطنين حياة كريمة. ومن دون معالجة الأزمات الاقتصادية ستظل الديمقراطية في المنطقة هشة، معرضة للانهيار أمام كل أزمة جديدة. لذلك فإن المطلوب اليوم هو إدراك أن الإصلاح السياسي لا يمكن أن ينجح بمعزل عن الإصلاح الاقتصادي، وأن العلاقة بين الاثنين هي مفتاح الاستقرار المستقبلي.

الديمقراطية في منطقتنا تواجه تحديًا وجوديًا؛ فهي مطالبة بأن تثبت قدرتها على الصمود أمام العواصف الاقتصادية، وأن تقدم حلولًا واقعية لمشكلات الناس اليومية. إن نجاحها في ذلك سيمنحها شرعية أقوى ويجعلها خيارًا مستدامًا، أما فشلها فسيجعلها مجرد تجربة عابرة سرعان ما تتراجع أمام ضغوط الواقع. لذلك فإن السؤال الحقيقي ليس ما إذا كانت الديمقراطية قادرة على الصمود، بل ما إذا كانت الأنظمة السياسية قادرة على توفير الأساس الاقتصادي الذي يجعل الديمقراطية خيارًا ممكنًا وواقعيًا.

الثقة لا تُبنى في ظل أزمات اقتصادية متفاقمة

أفريقيا: حينما تصبح محط أنظار دول العالم

فتحي أحمد
كاتب فلسطيني

يعود الوجود الفرنسي في أفريقيا إلى أسباب اقتصادية ودينية واجتماعية وسياسية، أفرزتها أنشطة "جمعية اليعاقبة" وأنصار الاستعمار، التي شكّلت الوجه التاريخي للاستعمار الفرنسي في القارة وأثرت على حاضرها ومستقبلها. عندما وضعت القوى الإمبريالية في أوروبا أنظارها على مناطق جغرافية جديدة لتوسيع مجالات نفوذها في القرن التاسع عشر، برزت أفريقيا موقعًا إستراتيجيًا مهمًا على خارطة العالم، وذلك لضخامة وحجم ثروتها الطبيعية. في عام 1884 كان مؤتمر برلين البداية الرسمية للكولونيالية في القارة السوداء، وكان أحد المبادئ التبريرية وراء حركة الاستعمار هو الحاجة إلى "تمدين" القبائل القاطنة في أفريقيا. هذا كان السبب الرئيسي الذي تبنته القوى المستعمرة وقتئذ، وعلى رأسها فرنسا، التي تبنّت فكرة نقل الشعوب الأفريقية من مستنقع الجهل إلى مصاف الشعوب المتقدمة، في إشارة إلى العنصر الأبيض. ورغم مضي قرون على الاستعمار المباشر وغير المباشر، ما زالت الشعوب الأفريقية تحت خط الفقر.

أفريقيا اليوم ساحة صراع دولي، حيث تتنافس فرنسا وأميركا وروسيا والصين على ثرواتها الهائلة بينما الشعوب تبحث عن استقلال وسيادة حقيقية

اللافت أن فلسفة الاستعمار بحد ذاتها تقوم على السيطرة على خيرات الشعوب ومص دمائها، أما قصة "النهوض بالشعوب" فما هي إلا ذر للرماد في العيون. في تعريف مبسط: الاستعمار هو ممارسة الهيمنة، والتي تتضمن إخضاع شعب لآخر. وكان انقلاب النيجر في وقت سابق دليلًا على صحوة الشعب النيجري بكل مكوناته، وثورة على الظلم والاستبداد، والخروج من عنق الزجاجة التي وضعت فرنسا البلاد فيها منذ أزمنة بعيدة. العامل في النيجر يقضي ساعات طوالا تحت لهيب الشمس الحارقة ليستخرج اليورانيوم، لتأخذه فرنسا بأقل التكاليف، ثم تنعم باريس وما حولها بهذا العنصر الحيوي الذي يولّد الطاقة الكهربائية. فخيرات غرب أفريقيا تذهب حتمًا للمستعمر القديم الجديد، فرنسا: ذهبها من غينيا، أثاثها من خشب الكونغو، مواهب كأس العالم من أفريقيا، وقودها من نفط الجابون، كهرباؤها من يورانيوم النيجر، وشوكولاتتها من كاكاو ساحل العاج. لهذا انقسمت أفريقيا اليوم، بعد جهد فرنسي خبيث، إلى أيديولوجيات وحدود ولغات استعمارية ساهمت فرنسا في وضعها وتعزيزها، ما انعكس سلبًا على مستقبل القارة السمراء، لتبقى فرنسا صاحبة اليد الطولى هناك.

في الفترة الأخيرة، لوحظت الزيارات المتكررة لكبار الشخصيات الأميركية إلى أفريقيا، بهدف معلن هو تحسين العلاقات الخارجية والدبلوماسية، لكن البراغماتية الأميركية تطل برأسها في القارة السوداء عبر هدف غير مصرح به: دحر فرنسا وإخراجها من أفريقيا. ذهب بعض المراقبين إلى أن ما حصل في النيجر لم يكن سوى انقلاب بأدوات أميركية صرفة، دون دور لقوات فاغنر الروسية، ضد الرئيس محمد بازوم، وهو ما اعتُبر خسارة كبرى لفرنسا على جميع الصعد.

اليوم يتشكل عالم متعدد الأقطاب، والاقتصاد هو محركه الرئيسي. ورغم خسارة روسيا في أوكرانيا، ما زالت تزحف باتجاه مستعمرات فرنسا في أفريقيا. أما الصين فهي تعمل بصمت مطبق، ترنو إلى القارة الفقيرة بشعبها والغنية بمعادنها النفيسة، التي تسيل لعاب دول العالم. بدأت بكين الاستثمار في أفريقيا منذ السبعينات، وأدخلت جزءًا كبيرًا من دول القارة تحت مبادرة "الحزام والطريق"، وتعمل الآن على زيادة الدعم الاقتصادي بعد عقود من تعزيز البنية التحتية واستخراج المعادن، في مواجهة محاولات الولايات المتحدة للتأثير في القارة التي تعتمد بشكل كبير على المساعدات الأجنبية. منطقة الساحل الأفريقي تُعد من أهم النقاط الإستراتيجية، ما جعلها مطمعًا للقوى الكبرى المتصارعة والمتنافسة لفرض نفوذها، بعدما لبست القارة ثوب الاستعمار الحديث غير المباشر بعد أن خلعت ثوب الاستعمار التقليدي، وكل ذلك يصب في مصلحة العنصر الأبيض.

لكن يبقى الرهان على صحوة الشعوب المضطهدة في العالم؛ فإذا انتصرت على الجهل كان النصر حليفها. ما جرى في النيجر وبوركينا فاسو بداية

الانقلابات الأخيرة في النيجر وبوركينا فاسو تعكس صحوة شعبية ضد الاستعمار الحديث وتؤكد أن خيرات أفريقيا يجب أن تبقى ملكًا لشعوبها المضطهدة

لخروج الشعوب على الظلم، فخيرات أفريقيا يجب أن تكون للشعوب الأفريقية باختلاف أيديولوجياتها وألوانها. من هنا، على تلك الشعوب أن ترفع صوتها وتعلنها: كفى لاستضعاف الشعوب، ونعم للوقوف في وجه المستعمر. لقد أخذت الدول المستعمرة كفايتها من خيرات الشعوب المستضعفة، ويبقى لحكام تلك الدول القول الفصل في مصلحة شعوبهم.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

محمود وهبة يحوّل التفاصيل اليومية إلى شعرٍ يواجه هشاشة الحياة

«ليس حبّا بل دعابة» قصائد تخرج من خفّة العبارة إلى ثقل الوجود

لا يكتفي الشعر المعاصر بتسجيل الانفعالات، بل يعيد تشكيل التجربة الإنسانية عبر لغة تستخرج المعنى من التفاصيل العابرة والهامش اليومي. وفي هذا السياق، يقدّم الشاعر اللبناني محمود وهبة تجربة تنحاز إلى التكثيف والإيحاء، وتحوّل اليومي إلى أفق تأملي يلامس أسئلة الحب والذاكرة والزمن وهشاشة الوجود.

النظر بعيني طفل (لوحة للفنان عدي أتاسي)

عمادالدين موسى
كاتب سوري

ينتمي محمود وهبة (من مواليد 1994) إلى الجيل الشعري اللبناني الذي انشغل بإعادة اكتشاف العلاقة بين القصيدة والحياة اليومية، وبين اللغة وتجارب العيش المتبدلة في مدينة تتسارع تحولاتها السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد استطاع عبر أعماله أن يرسخ حضوراً لافتاً داخل المشهد الشعري المعاصر من خلال حساسية عالية تجاه التفاصيل الصغيرة، وعين تلتقط الهامشي والعابر وتمنحه قدرة على الإقامة داخل النص.

تميل تجربته إلى الاقتصاد اللغوي وإلى بناء مشاهد تعتمد على الإيحاء والتكثيف أكثر مما تعتمد على الشرح والتفسير، الأمر الذي منح قصيدته نبرة خاصة يسهل التعرف إليها بين أصوات كثيرة في الشعر اللبناني الحديث. كما تكشف أعماله عن اهتمام واضح بالإيقاع الداخلي للجملة الشعرية، وبالعلاقة الدقيقة بين الصورة والانفعال والحركة داخل النص.

من زاوية مغايرة

في ديوانه "ليس حبا بل دُعابة"، الصادر عن دار النهضة العربية في بيروت، تبدو الكلمات للوهلة الأولى قريبة من فضاء العاطفة لكن سرعان ما تنزاح نحو مساحة أخرى تقترب من السخرية المريرة والابتسامة المرهقة، ليغدو العنوان جزءاً من النسيج الشعري ذاته، وتتحول عبارته إلى مفتاح يضيء النصوص اللاحقة ويكشف آليات اشتغالها الداخلية.

تتحرك القصائد ضمن هذا التوتر المستمر بين الرغبة في التصديق والخشية من الانخداع، بين الحنين إلى العلاقات الإنسانية والشك في قدرتها على الاستمرار، وبين الحاجة إلى القرب والإحساس الدائم بالمسافة. ومن هنا يكتسب عنوان الديوان مكانته المركزية داخل التجربة، إذ يحمل في داخله بذرة العالم الشعري الذي سيبنيه الشاعر عبر الصفحات اللاحقة. كما تظهر براعته في القدرة على تحويل هذه المفارقة إلى رؤية شعرية متكاملة، ترى الحياة من زاوية مغايرة، وتدرك أن الإنسان المعاصر صار يعيش داخل شبكة كثيفة من الالتباسات التي تجعل اليقين ترفاً نادراً والحسم أمراً بعيد المنال.

يكتب محمود وهبة من قلب التجربة، ولذلك تأتي القصائد محمّلة بحرارة إنسانية واضحة؛ إذ يشعر القارئ أن الكلمات خرجت من احتكاك مباشر بالحياة اليومية، وأنها تحمل آثار المدن المتعبة والانتظارات الطويلة والأصدقاء الذين ابتعدوا والوجوه التي غيّرها الزمن.

وتكتسب هذه الكتابة خصوصيتها من ابتعادها عن الخطابة وعن النزعة التقريرية، إذ يفضّل الشاعر الاقتراب من التجربة عبر التفاصيل الصغيرة والمشاهد العابرة والإشارات الخافتة التي تترك أثراً عميقاً في النفس. ومن خلال هذا الخيار الجمالي تنجح القصيدة في الوصول إلى مناطق حساسة داخل القارئ، لأن الألم هنا يظهر في صورة إنسانية هادئة بعيدة عن المبالغة.

يمتلك الشاعر وهبة قدرة لافتة على استخراج الشعر من أكثر العناصر اليومية بساطة؛ فالأبواب والنوافذ والطرقات والأحذية والرسائل والأكواب والمصاعد والسلالم تتحول في نصوصه إلى عناصر فاعلة داخل المشهد الشعري.

تؤدي هذه التفاصيل وظيفة تتجاوز الجانب التزييني، إذ تسهم في بناء المعنى وتشكيل المناخ النفسي للنص. فالنافذة تحمل دلالة الانتظار، والباب يتحول إلى رمز للغياب، والسلم يغدو صورة للعلاقة بين الصعود والسقوط، فيما تكتسب الرسالة أبعاداً تتجاوز الورق والكلمات لتصبح شاهداً على المسافة التي تفصل إنساناً عن آخر. ومن خلال هذه التقنية ينجح الشاعر في بناء عالم قريب من الحياة اليومية وقادر في الوقت نفسه على إنتاج مستويات متعددة من التأويل.

الجسد وتحوّلات العمر

يحتل الجسد مساحة واسعة داخل الديوان، ويأتي حضوره ضمن سياق إنساني وتأملي يرتبط بالزمن والتحول والذاكرة. فالعمر يترك آثاره الدقيقة فوق الجسد، وتلتقط القصيدة هذه العلامات لتحولها إلى مادة شعرية مشحونة بالحساسية والتأمل.

وتتكرر صور النهد واليدين والركبتين والكتف والعينين داخل النصوص، وكأن الشاعر يعيد رسم الإنسان عبر أجزائه الصغيرة، أو يعيد اكتشاف ذاته عبر أجزاء الجسد التي تحمل آثار التجربة وما تراكم فيها من مشاعر وذكريات.

ويرتبط حضور الجسد كذلك بفكرة الكهولة والطفولة والانتقال بين المراحل العمرية المختلفة؛ فالشاعر ينظر إلى الزمن من موقع من يتابع مرور الأعوام بسرعة مربكة، ويحاول عبر الكتابة الإمساك بشيء من تلك اللحظات قبل اختفائها.

تحتل الطفولة بدورها مكانة مركزية في الديوان؛ فهي المساحة التي يعود إليها الشاعر كلما ضاق به الحاضر أو أثقلته الذاكرة. وتظهر الطفولة هنا بوصفها زمناً يحتفظ بنقائه وقدرته على منح الطمأنينة، وفضاءً تتجدد فيه الدهشة والحرية والقدرة على اكتشاف العالم.

في قصيدة بعنوان "كهولة" يقول الشاعر:"يوماً ما/ (سأعود طفلاً يرضع ثديي أمّه)/أسرق حبّة الشكلس من دكّان قريب/ أتبوّل في الطريق، أروي النباتات/ أمشي كالمعتوه/ وأجمع الضفادع في قنينة ماء/ أفتح دكّاناً في غرفتي بعشرة آلاف ليرة".

يفتح هذا المقطع أفقاً واسعاً على الحنين إلى البراءة الأولى، ويكشف رغبة عميقة في استعادة زمن أكثر بساطة وأقل قسوة. فالطفل الذي يحضر في القصيدة يمتلك حرية الحركة والاكتشاف والدهشة، ويملك كذلك قدرة على رؤية العالم بعين جديدة ما تزال محتفظة بنضارتها.

> الشاعر يميل إلى استنباط الشعر من العناصر القريبة من الحياة اليومية، بعيدا عن الزخرفة البلاغية والاستعراض اللغوي

وتتجلى أهمية هذا المقطع في ربطه بين الطفولة والحاضر عبر خيط داخلي ممتد؛ فالرجل المتحدث ما يزال يحمل في داخله الطفل القديم، وذاكرته تواصل البحث عن ذلك العالم الأول وسط إيقاع الحياة الحديثة وضجيجها المتصاعد.

كما تحضر المرأة في الديوان عبر صور متعددة ومتبدلة؛ فتظهر أحياناً في هيئة الحبيبة، وأحياناً بوصفها ذاكرة أو غياباً أو حلماً مؤجلاً، كما تتجلى في صورة الإنسان الذي يعبر الحياة مخلفاً وراءه أثراً يصعب محوه.

ويميل الشاعر إلى تقديم المرأة ضمن ملامح إنسانية مكتملة، بعيداً عن الصورة المثالية المألوفة التي سادت زمناً طويلاً في القصيدة العربية؛ فهي شخصية تحمل تعبها وأسئلتها وترددها ومخاوفها أمام حركة الزمن.

اليومي والرؤية الوجودية

تشكل الصورة الشعرية إحدى أكثر المناطق حيوية في ديوان محمود وهبة، إذ تعتمد قصائده على شبكة واسعة من المشاهد والإشارات والتفاصيل التي تتحرك داخل النصوص بحضور متدفق، فتتجاوز وظيفتها الوصفية لتصبح عنصراً أساسياً في إنتاج المعنى. ويميل الشاعر إلى استنباط الشعر من العناصر القريبة من الحياة اليومية، بعيداً عن الزخرفة البلاغية والاستعراض اللغوي، مما يمنح نصوصه صدقا عاطفيا وحضورا بصريا كثيفا.

وتقوم الصورة عند وهبة على مفارقة هادئة تبدأ غالباً من تفصيل مألوف، ثم تنفتح تدريجياً على أفق تأملي أوسع. فالباب يتحول إلى مساحة للانتظار، والنافذة تكتسب هيئة ذاكرة معلقة بين الداخل والخارج، والرصيف يحتفظ بآثار الغياب، بينما تغدو الرسالة مسافة كاملة تفصل بين شخصين.

وتكشف هذه التقنية عن وعي عميق بالعلاقة بين الإنسان والأشياء المحيطة به؛ فالعالم الخارجي في الديوان يشارك بفاعلية في تشكيل التجربة الشعورية، وتتحول تفاصيل الحياة اليومية إلى حوامل للذاكرة والانفعال. ولهذا تتكرر الأحذية والمصاعد والنوافذ والطاولات والأبواب والطرقات في النصوص، لأنها تختزن أجزاء من حياة الإنسان، ومن أيامه المتراكمة، ومن انكساراته الصغيرة التي تصنع أثرها عبر الزمن.

وتتجلى خصوصية الصورة الشعرية كذلك في اعتمادها على المجاورة بين عناصر تبدو متباعدة في ظاهرها، مما يولد طاقة دلالية جديدة داخل النص. فالشاعر يضع العاطفة إلى جانب المفردة اليومية، ويصل بين تفاصيل المنزل والأسئلة الوجودية، وبين المشهد العابر والقلق الإنساني العميق، فتنبثق من هذا التماس صور تمتلك طزاجتها الخاصة وقدرتها على الإدهاش.

يقول الشاعر: "الورود حين تذبل في الخريف/ العصفور حين يشرد ويبتعد عن السرب/ النهر حين يغيّر مجراه/ الليل حين يطول/ النهار إذْ يتمطّى/ السمكة حين تُعلّقُ على الجدار/ الطفل حين يصرخ خارجاً من الفَرْج/ القلب حين ينفطر من الحبّ/ التفاصيل المنسيّة حين تعود بقدرة قادر/ القهوة إذْ تُعدّلُ مزاجا".

تكشفُ هذه الأبيات عن نزعة واضحة إلى بناء الصورة عبر التراكم والتتابع الإيقاعي؛ إذ تتجاور الولادة مع الحب والنهر مع الطفل والسمكة مع القهوة، فتتشكل فسيفساء شعرية واسعة تجمع الطبيعة والجسد والذاكرة واليومي في حركة واحدة.

ويبرز في الديوان ميل واضح إلى الصورة الحركية؛ فالعناصر الشعرية تعيش حالة انتقال دائم؛ فالأنهار تغير مجاريها والأرض تفرغ حمولتها والرسائل تغادر والتفاصيل تعود والأحلام تنتهي والتفاحات تنفجر. وتمنح هذه الحركة المستمرة النصوص إيقاعا بصريا خاصا، وتوحي بأن العالم يعيش تحولات متواصلة تتجاوز حدود الثبات.

وتحمل الصور في الكثير من الأحيان طابعاً سينمائياً واضحاً، إذ تنتقل القصيدة بين اللقطات والزوايا والمسافات كما لو أنها تتحرك عبر كاميرا داخلية تلتقط العالم من أكثر من موضع. فتقترب أحياناً من اليد أو الوجه أو الطاولة، ثم تتسع لتشمل المدينة أو الشارع أو الزمن بأكمله.

يقدّم محمود وهبة في هذا الديوان تجربة شعرية تمتلك صوتاً واضح الملامح وحساسية عميقة تجاه الإنسان وتفاصيل حياته اليومية. وتتميز هذه التجربة بقدرتها على الجمع بين البساطة والعمق، وبين الاقتصاد اللغوي والثراء الدلالي، وبين الحزن الخافت والابتسامة التي تواصل حضورها في مواجهة تقلبات الحياة.

وتنبع قوة هذا الديوان من قدرته على تحويل التجربة الشخصية إلى خبرة إنسانية مشتركة يجد القارئ نفسه داخل فضائها بسهولة، ومن نجاحه في منح التفاصيل الصغيرة دور المفاتيح التي تفتح على أسئلة واسعة تتصل بالزمن والحب والغياب والذاكرة.

رؤية شِعرية متكاملة، ترى الحياة من زاوية مغايرة، وتدرك أن الإنسان المعاصر صار يعيش داخل شبكة من الالتباسات

«العلاج بالقراءة».. قوة الأدب في مواجهة الألم

رانيا عبدالعاطى
كاتبة مصرية

قبل أن يضع القارئ الكتاب في حقيبته أو على رف مكتبته ربما يجدر به أن يجيب عن سؤال بسيط: هل يمكن لكتاب أن يخفف وطأة الحزن أو يبدد القلق أو يساعد إنسانا على فهم نفسه أكثر؟ قد يبدو السؤال أقرب إلى المجاز لكن بيجال شاه تنطلق منه لتبني كتابها "العلاج بالقراءة" الصادر عن دار الكرمة بترجمة إيمان السعودي، ليعيد الكتاب الاعتبار إلى واحدة من أقدم العلاقات الإنسانية وهي العلاقة بين الإنسان والكتاب، ليس بوصفه مصدرا للمعرفة فقط وإنما شريكا في رحلة التعافي واستعادة التوازن.

لم يعد مفهوم العلاج بالقراءة اليوم مجرد فكرة رومانسية يتداولها عشاق الأدب، بل أصبح أحد الأساليب المساندة التي تحظى باهتمام متزايد في المؤسسات الصحية والمكتبات العامة في عدد من الدول، إذ تقوم الفكرة على أن النص الأدبي قادر على فتح مساحات للحوار مع الذات ومساعدة القارئ على فهم مشاعره ومواجهة أزماته عبر التعاطف مع شخصيات وتجارب تشبه ما يعيشه.

في هذا السياق تقدم بيجال شاه كتابا يجمع بين الخبرة العملية والقراءة الواسعة دون أن يسقط في فخ التنظير الأكاديمي أو الوعظ المباشر، فهي لا تتعامل مع الكتاب باعتباره دواء سحريا ولا تدعي أن الأدب يغني عن الطبيب النفسي، لكنها تؤمن بأن القراءة قد تكون بداية الطريق نحو التعافي لأنها تمنح الإنسان لغة يعبر بها عن مشاعره وتجعله يدرك أن ما يمر به ليس استثناء في التاريخ الإنساني.

واحدة من أهم الأفكار التي يطرحها الكتاب هي أن القراءة العلاجية تختلف عن القراءة التقليدية، فليس المطلوب إنهاء أكبر عدد من الكتب أو ملاحقة قوائم الأكثر مبيعا وإنما اختيار النص الذي يناسب الحالة النفسية للقارئ في لحظة معينة، فالرواية التي تمنح الأمل لشخص يعيش تجربة الفقد، قد لا تكون مناسبة لمن يعاني الاحتراق النفسي، وهنا تظهر فكرة الوصفة القرائية التي تشبه إلى حد بعيد وصفة الطبيب، إذ لا توجد وصفة واحدة تصلح للجميع.

لا تكتفي الكاتبة بتقديم قوائم للكتب المقترحة بل تركز على الكيفية التي ينبغي أن يقرأ بها الإنسان، فالقراءة في نظرها ليست استهلاكا للكلمات وإنما حوار مستمر مع النص، ولذلك تدعو إلى التوقف أمام الجمل المؤثرة وإعادة قراءتها وربطها بالتجارب الشخصية بدلا من المرور السريع عليها.

ومن بين أكثر الفصول ثراء ذلك الذي تخصصه للتدوين الأدبي، وهو في تقديري أهم ما يميز الكتاب عن غيره من الكتب التي تناولت العلاج بالقراءة، فبيجال شاه ترى أن القراءة تظل نصف تجربة ما لم تتحول إلى كتابة، لأن الإنسان عندما يكتب ما أثاره النص فإنه لا يعيد تلخيص الكتاب، بل يعيد اكتشاف نفسه.

تقترح الكاتبة مجموعة من التمارين البسيطة التي يمكن لأي قارئ ممارستها مثل كتابة يوميات القراءة وتسجيل الاقتباسات التي تركت أثرا داخله، ثم محاولة تفسير سبب هذا الأثر أو كتابة رسالة إلى إحدى الشخصيات الروائية أو تخيل نهاية مختلفة للأحداث أو حتى كتابة حوار مع الذات بعد الانتهاء من الكتاب، وهي تمارين تبدو في ظاهرها أدبية لكنها في حقيقتها أدوات للتأمل وإعادة ترتيب المشاعر.

وتكمن قيمة هذا التدوين في أنه يحول القارئ من متلق سلبي إلى مشارك في إنتاج المعنى، فالنص الأدبي لا يعود شيئا خارجيا بل يصبح مرآة يرى فيها الإنسان مخاوفه وأحلامه وأسئلته وربما لهذا السبب تؤكد الكاتبة أن صفحات دفتر القراءة أهم أحيانا من صفحات الكتاب نفسه لأنها تكشف الرحلة الداخلية التي خاضها القارئ.

ويحسب للكتاب أيضا أنه يبتعد عن النخبوية، فلا يحصر العلاج بالقراءة في الكلاسيكيات أو الأعمال الفلسفية، بل يفتح الباب أمام الرواية والشعر والمذكرات وأدب الأطفال وحتى الكتب المصورة، فالعبرة ليست بنوع الكتاب وإنما بقدرته على ملامسة تجربة القارئ وإثارة حوار داخلي معه.

> بيجال شاه تستكشف كيف تتحول الرواية والشعر والكتابة التأملية والكتب المصورة إلى أدوات لفهم الذات واستعادة التوازن

ورغم ثراء الأفكار فإن الكتاب لا يخلو من بعض الملاحظات إذ يميل أحيانا إلى الإكثار من الأمثلة على حساب التحليل كما أن الكثير من الترشيحات تنتمي إلى البيئة الغربية، وهو ما يدفع القارئ العربي إلى التساؤل عن حاجتنا إلى قوائم مشابهة تستند إلى الأدب العربي الذي يزخر بنصوص قادرة على أداء الدور نفسه، وربما تكون هذه هي الخطوة التالية التي ينبغي أن يلتفت إليها المهتمون بهذا المجال في العالم العربي.

وتبدو أهمية هذا الكتاب في اللحظة الراهنة أكبر من مجرد التعريف بمفهوم جديد، ففي عالم تتراجع فيه معدلات القراءة لحساب الشاشات السريعة يأتي ليذكرنا بأن الكتاب لم يكن يوما وسيلة للثقافة وحدها، بل كان دائما مساحة للنجاة أيضا، وأن الإنسان قد يجد بين الصفحات ما يعجز أحيانا عن قوله لأقرب الناس إليه.

لا يعد كتاب العلاج بالقراءة القارئ بحياة خالية من الألم لكنه يذكره بأن الأدب كان عبر العصور أحد أشكال مقاومة هذا الألم وأن رواية واحدة قد تمنحنا الشجاعة لنواصل الطريق وقصيدة قد تساعدنا على تسمية مشاعر عجزنا عن فهمها، وسطر واحد قد يكون بداية مصالحة طويلة مع الذات.

ولهذا فإن القيمة الحقيقية للكتاب لا تكمن في عدد الكتب التي يرشحها ولا في التمارين التي يقترحها بل في الفكرة التي يتركها عالقة في ذهن قارئه بعد الصفحة الأخيرة، وهي أن القراءة ليست هروبا من الحياة كما يظن البعض وإنما قد تكون في أحيان كثيرة الطريقة الأكثر عمقا للعودة إليها.

هل تشفي الكتب أرواحنا؟

محمد الكناني يؤرشف الذاكرة بالحفر والطباعة

«رحلة الروح في منازل القمر».. أربعون لوحة حفر تصوغ رحلة الإنسان الداخلية

يتجاوز الفنان العراقي الدكتور محمد الكناني حدود الطباعة التقليدية في معرضه الجديد، ليدعو المتلقي إلى تجربة صوفية تختزل أبعاد الوجود. وعبر دمج دقيق بين الحرف والرمز والهندسة الرافدينية، تحول أعماله الأربعون تقنيات الحفر إلى لغة روحية تتأمل التحولات الداخلية للإنسان وتستعيد ذاكرة الطين والسماء بأسلوب حداثي مكثف.

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

في مساء هادئ داخل قاعة "ذا غاليري" للفنون، انفتحت أبواب معرض شخصي لا يشبه معارض الصخب البصري المعتادة، أكثر من أربعين لوحة طباعة غرافيكية مرصوصة بهدوء، تدعو المتلقي إلى أن يخفض صوته الداخلي قبل أن يرفع عينه.

العنوان وحده كان كافيا لإعلان نية الفنان: "رحلة الروح في منازل القمر". كتب د. محمد الكناني في دعوته: "رؤية فنية تستلهم منازل القمر بوصفها مراحل رمزية في رحلة الإنسان الداخلية. في هذه الأعمال، تمثل كل منزلة حالة من الوعي والوجدان تنتقل فيها الروح من مرحلة إلى أخرى، ليصبح القمر رمزاً للتجدد والنمو، وإدراك الذات". دعوة لم تكن للمعاينة فقط، بل للعبور لأن ما قدمه الكناني لم يكن مجموعة مطبوعات معلقة على الجدار، بل مختبرا بصريا وبنيويا، تتزاحم فيه الحداثة التشكيلية مع روحية مشرقية قديمة.

منذ اللحظة الأولى تشعر أنك أمام فنان أكاديمي لا يخاف الصرامة، وأديب لا يخاف الشعر؛ محمد الكناني، الحاصل على بكالوريوس فنون تشكيلية، وماجستير في الفنون المعاصرة، ودكتوراه فلسفة علوم الفن، وبحكم لقبه العلمي أستاذ "بروفيسور"، جاء إلى الغرافيك لا كتقنية طباعية فقط، بل كمنهج تفكير، الغرافيك عنده ليس نسخا، بل بناء، ليس سطحاً، بل طبقات، يبدأ الكناني رحلته من الهندسة ليس الهندسة الباردة التي تقيس الزوايا، بل هندسة لها دم.

في أغلب الأعمال يفرض القوس نفسه؛ قوسا عموديا يشبه المحراب، لا يشتغل كزخرفة إسلامية مستهلكة، بل كبوابة نافذة بصرية تختزل فكرة المقدس والعبور من الواقعي إلى المجرد.

المحراب هنا ليس مكان صلاة، هو مكان تأمل. يضبط به الفنان حركة التكوينات الداخلية الصاخبة، فيمنعها من أن تنفلت، ويمنحها مركزاً أخلاقياً. وإلى جانب القوس، تحضر الدائرة؛ الفضاء الكوني المغلق الذي يشير إلى الأزلية.

البداية فيه هي النهاية، والمركز هو نقطة الجذب الفلسفي. حين تقف أمام لوحة من لوحاته تشعر أنك داخل بناء معماري وطقسي في آن واحد، الجدران أقواس، والسقف سماء دائرية، والأرض طبقات تراب، لكن البناء لا يكتمل دون اللغة، واللغة عند الكناني ليست أداة خطابة، هي مادة بصرية. تنتمي تجربته إلى نزعة الحروفية الرصينة التي التقت يوما مع أطروحات "جماعة البعد الواحد"، لكنه لا يكتب نصاً ليُقرأ. يفك الحرف العربي من عبودية المعنى المباشر ويحوله إلى كتلة غرافيكية مشحونة بالطاقة ترى الحروف تتجمع في دوائر علوية تشبه شموساً صغيرة، أو تنساب كأهلة بيضاء تسبح في فراغ اللوحة.

وفي عمل يتصدر المشهد رمز دائري حروفي متداخل مع لون أحمر قاتم، كأنه نبض الحرف هنا يتنفس داخل مساحات هندسية، محاط بنقاط زرقاء وبنية منتظمة تشبه حبات المسبحة أو ترقيمات فلكية قديمة كان الراصدون ينقشونها على المخطوطات. الحرف لم يعد يدل، صار يرنم.

واللون عند الكناني ليس قرارا جماليا عابرا، هو ذاكرة الأزرق والتركواز يحضران بقوة في النصف السفلي من معظم اللوحات. أزرق لازوردي يذكرك ببلاطات القاشاني في العمارة الإسلامية، وبعمق السماء السومرية، وبالماء الذي هو أصل الحياة وأصل الروح. وفوقه أو تحته، تمتد مساحات واسعة من الأوكر والترابيات والألوان الطينية، ألوان جدران البيوت الطينية في أرياف العراق، وألوان مخطوطات أكلها الزمن.

هذا التقابل بين السماوي والأرضي يخلق مناخا بصريا لا يمكن فصله عن المحلي، ليس عراقا جغرافيا فقط، بل هو عراق جيولوجي ونفسي.

وتظهر براعة الكناني التقنية في التعامل مع السيولة؛ تقنيات الحفر والطباعة لديه عالية الدقة، لكنه لا يستخدمها لإبهار حرفي، بل يستخدمها لخلق شفافية وطبقات تقف أمام اللوحة فترى تحت اللون لونا، وتحت الطبقة طبقة كأنك تحفر في تربة هذا العمق الجيولوجي يقابله عمق سيكولوجي.

اللوحة تصبح مرآة للذاكرة: كلما اقتربت وجدت تفصيلاً جديداً، وكلما ابتعدت تجمعت التفاصيل في إحساس واحد. في ثنايا هذا البناء اللوني والهندسي، يزرع الكناني شفراته الصغيرة صفوفا من النقاط: برتقالية، زرقاء، بيضاء، تتكرر بصرامة في أسفل التكوين أو في منتصفه. ليست زخرفة هي إيقاع موسيقي، هي ترميز فلكي، لمسة حداثية تعيد التوازن إلى الفوضى التعبيرية وتقول للمتلقي: خلف هذا الانفعال هناك نظام رياضي صارم، وفي عمل آخر يذهب إلى أبعد من ذلك؛ شبكات خطية متداخلة تشبه الهندسة الفراغية، ورموز رقمية مبهمة في الأسفل، ومساحة خضراء عضوية تتنفس، ونقاط بيضاء تتساقط كأنها مطر.

هنا يفتح العمل أفقاً للقراءة عن صراع التكنولوجيا مع الطبيعة، أو عن تداخل العقلاني مع الوجداني. الهندسة تقول قانوناً، واللون يقول حدساً، والنقاط تقول زمناً.

ما يفعله الكناني هو محاولة لأرشفة الروح: فهو يستعير المحراب ليصلي فيه تشكيليا، يستدعي الحرف ليفك عزلة المساحات الصامتة، يوظف تقنية الغرافيك ليمزج بين صرامة الأستاذ الجامعي وشاعرية الكاتب. اللوحة عنده ليست مساحة ملونة هي "رقمية طينية معاصرة" تجمع بين عمق وادي الرافدين وبين أسئلة الفن البصري في الألفية الثالثة.

حين تتأمل المجموعة كاملة، تدرك أن العنوان لم يكن مجازيا. "رحلة الروح في منازل القمر" هي فعلاً رحلة، فالقمر هنا ليس جرماً سماوياً، هو استعارة للوعي، كل منزلة من منازله الثمانية والعشرين القديمة تتحول إلى حالة وجدانية، حالة انكسار، حالة صفاء، حالة بحث، حالة اكتمال.

الروح تنتقل من محراب إلى دائرة، من حرف إلى نقطة، من أزرق إلى ترابي، كما ينتقل الإنسان من تجربة إلى أخرى ولا توجد في المعرض لوحة واحدة تريد أن تكون نهائية، كلها مراحل.

ولهذا لا تشعر بالإنهاك وأنت تطوف بين الأربعين عملاً، بل تشعر أنك تسير في طريق. الكناني لا يقدم لنا العراق كمنظر سياحي، يقدمه كبنية، كبنية روحية ومعمارية ولغوية، في لونه الأزرق تسمع صدى دجلة، وفي ترابه تشم رائحة الطين، وفي دوائره تسمع همس الصوفيين.

لكنه لا يغرق في الحنين، بل يواجه الحداثة بأدواتها؛ الشبكات، الرموز الرقمية، السيولة الطباعية، كلها تقول إنه يعرف تماماً أين يقف في خرائط الفن العالمي اليوم. لكنه يختار أن يتكلم بلهجته.

> المعرض يشير إلى أن الروح مثل القمر، تتجدد، وتنمو، وتدرك ذاتها بالتدريج، وأن الفن يمكن أن يكون محرابا صغيرا

هذا المعرض هو الخامس الشخصي للفنان، بعد مشاركات عديدة في معارض وزارة الثقافة وجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين. ومع كل معرض يزداد وضوحاً أن مشروع الكناني مشروع تراكمي لا يبدأ من الصفر ولا ينتهي عند لوحة. يبني فوق ما سبق، يختبر، يحفر، يطبع، ثم يعود ليحفر مرة أخرى.

في "ذا غاليري" وقف الزوار طويلا، بعضهم اقترب جداً من السطح ليرى أثر الحفر، وبعضهم ابتعد ليرى الإيقاع العام، نقاد تحدثوا عن البعد البنائي، وفنانون تحدثوا عن جرأة اللون، وزوار عاديون قالوا جملة بسيطة: "نشعر بالراحة هنا". وهذه ربما أعلى شهادة، لأن الفن الذي ينجح في أن يجعلك تشعر بالراحة في زمن الضجيج، هو فن يعرف كيف يصلي.

الكناني لا يصرخ، لا يرفع شعارات، بل يعمل في صمت: الحفر يزيل طبقة ليظهر طبقة، يمحو حرفا ليولد حرفا، يغلق الدائرة ليفتح دائرة أخرى، وفي النهاية يتركك مع سؤال بسيط: أين أنت الآن في منازل القمر؟ هل أنت في مرحلة البحث؟ في مرحلة الاحتراق؟ في مرحلة النور؟

المعرض لا يجيب؛ المعرض يشير، يشير إلى أن الروح مثل القمر، تتجدد، وتنمو، وتدرك ذاتها بالتدريج. وأن الفن، حين يكون صادقا، يمكن أن يكون محراباً صغيراً نقف فيه وحدنا، ونخرج منه مختلفين قليلاً.

أربعون لوحة، أربعون منزلة. وأربعون دعوة للعودة إلى الداخل، هذا ما فعله محمد الكناني في "رحلة الروح في منازل القمر". لم يرسم القمر، رسم الطريق إليه.

تصور لمنازل القمر

سوار الأم وغليون الأب:
عن تشكيل الذاكرة المبتورة في رواية «الأسيرة» لعائشة بنور

د. وسام علي الخالدي
كاتبة عراقية

تتجاوز الرواية النسوية المعاصرة حدود التوثيق التاريخي المجرد للأزمات الكبرى، لتنخرط في تقديم سينوغرافيا بصرية للألم البشري. وفي روايتها "الأسيرة (نساء في الجحيم)"، لا تكتفي الكاتبة الجزائرية عائشة بنور برصد محطات اللجوء والشتات التي عاشتها بطلتها الفلسطينية "أيلول"، بل تُعيد بناء المأساة عبر التشكيل البصري للذاكرة المبتورة؛ حيث تتحول الرموز المادية المرئية إلى عكازات نفسية لترميم ذات تشظت بين عكا وعين الحلوة، وتماهت مع النضال النسوي الجزائري في الأوراس وقسنطينة.

لوحة علا الأيوبي

وتعتمد بنور على لغة بصرية حادة وصادمة لالتقاط لحظة الانفصال عن الوطن؛ فالذاكرة هنا ليست شريطاً مسترسلاً، بل هي ذاكرة مبتورة بفعل القصف الصهيوني الذي شلّ حركة المكان والزمان.

تتشكل هذه الذاكرة بصريا من خلال لقطتين سينمائيتين غاية في القسوة: لقطة ذراع الأم المبتورة حين تنبش الطفلة أيلول الركام برجلين حافيتين لتنتشل ذراع أمها المفصولة عن جسدها ملتصقاً بها سوارها اللامع، حيث يُبتر الجسد فيزيائياً ليصبح السوار أيقونة بصرية تحل محل الأمومة المفقودة وتلازم البطلة كوشم نفسي يحجب عنها مظاهر التأنيث والبهرجة الزائفة، ولقطة الطفل صابر والصورة البصرية المفجعة للرضيع الذي ذاب مصاصه على شفتيه بفعل النيران، وهي مشهديّة متفحمة تُعلن منذ البداية اللحظة الخرساء للنص؛ وهي اللحظة التي يعجز فيها الكلام فيتولى المشهد البصري صدم وعي القارئ.

وأمام هذا البتر والتمزق، تلجأ الكاتبة إلى شحن الأشياء اليومية البسيطة بطاقة رمزية قوية لتصبح أدوات لمقاومة المحو والنسيان في مخيمات اللجوء الباردة، فيبرز غليون الأب (سالم البكري) كأداة بصرية تمثل حضور الأب، السيادة، والسكينة المفقودة في عكا قبل النكبة عام 1948، بينما يظهر طائر المحنا (الحسون) السجين داخل قفصه كمعادل بصري لحالة الأسر الجماعي، حيث يرايا سجن الطائر سجن أيلول في زنزانة ذكرياتها وسجن الشعبين الفلسطيني والجزائري وراء الأسلاك الشائكة، وحتى الحيوان في عالم أيلول القديم يحمل سمة البتر متمثلاً في الكلب تيو ذي الذيل الأبتر، في إسقاط بصري مبكر على مصير العائلة والوطن الذي سيُبتر من جغرافيته التاريخية.

> نص يثبت أن الجسد قد يُبتر، والوطن قد يُؤسر، لكن الذاكرة البصرية قادرة على هدم أسوار الجحيم

وتتسع الرؤية البصرية عند عائشة بنور لتتجاوز جغرافيا فلسطين نحو جغرافيا الثورة الجزائرية مستخدمة تقنية التناص التاريخي لربط الوجعين وتعميق مفهوم الجسد المقاوم، فيبرز حذاء البوتوغاز الخشن للفدائية الجزائرية مريم بوعتورة (ياسمين) ليرمز بصرياً إلى وعورة طريق التحرير ورفض الأنوثة التقليدية في سبيل الوطن، وتستحضر الرواية المشهد البصري المعذب لجسد جميلة بوحيرد تحت صعق الكهرباء في زنازين الفيلق العاشر للمظليين الفرنسيين، إلى جانب الكوفية والثوب المطرز اللذين يشكلان الهوية بصرياً؛ فالكوفية تتحول من عرق الفلاحين إلى لثام فدائي، والثوب المطرز بألوان الأرض يغدو خطاً دفاعياً ضد المحو. هذا التبادل البصري بين أيلول الضحية/المقاومة وصور الشهيدات والأسيرات الجزائريات يمنح الذاكرة المبتورة بعداً قومياً وإنسانياً تضامنياً، ويحوّل نساء في الجحيم إلى نساء يصنعن من الجحيم بركاناً للحرية.

وتطرح الرواية حوارية بصرية معقدة لجسد المرأة؛ فالجسد في الأسيرة لا يُقدم كعنصر شبقي أو جمالي بل كخريطة سياسية، ونرى ذلك من خلال صديقة البطلة "يافا" التي تعيش بساق مبتورة جراء العدوان لتتطابق عاهتها الجسدية بصرياً مع عاهة الوطن الممزق، وعندما يظهر الحب عبر شخصية الشاب البريطاني "أندريا"، تصطدم الرغبة في الترميم العاطفي ببتر الهوية، فأندريا يمثل جينالوجيا المستعمر (ابن أوليفيا البريطانية) مما يجعل التواصل البصري والعاطفي معه مستحيلاً، إذ ترى أيلول في عينيه الأسلاك الشائكة ووعد بلفور، فتختار الانكفاء على قضيتها معلنة أن عشق القضية هو الطريقة الوحيدة لالتئام الذاكرة. وإذا ما تتبعنا الخيط السردي الممتد في هذا المتن الروائي، نجد أن الكاتبة عائشة بنور لم تكتفِ بتأطير الفاجعة في حدود البكائية، بل جعلت من التشكيل البصري أداة لمحاكمة التاريخ وإعادة قراءته؛ حيث يتداخل الوعي الفردي للبطلة بالوعي الجمعي لأمتها، وتتحول كل لقطة بصرية مرسومة في النص إلى وثيقة إدانة ضد الجلاد وسند ملكية للضحية.

إن الذاكرة التي بدأت مبتورة وممزقة وموزعة بين المنافي والزنازين، تنتهي في الخواتيم بوعي نقدي وتاريخي مغاير، يجعل من إعادة قراءة الماضي خطوة أولى نحو تفكيك قيود الحاضر وصياغة مستقبل لا مكان فيه للجحيم أو الأسر.

وفي ختام الرواية، يغدو قرار أيلول بدراسة قسم التاريخ محاولة واعية لإعادة تركيب أجزاء ذاكرتها المبتورة وصياغتها معرفياً، لتنجح عائشة بنور في رواية الأسيرة في تحويل السرد الكلامي إلى لوحة بصرية تشكيلية تفوح بعطر الماضي، وضجيج الدبكة، وأهازيج الدلعونا الجنائزية، مقدمة لنا نصاً حياً يثبت أن الجسد قد يُبتر، والبيت قد يُقصف، والوطن قد يُؤسر، لكن الذاكرة البصرية المشحونة بالحق قادرة على هدم أسوار الجحيم.

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

بطاريات السيارات الكهربائية تدخل مرحلة النضج التقني

الاختبارات تكشف أن التلف أبطأ من تقديرات المصنعين، إذ تحتفظ بمعظم مداها حتى بعد سنوات من الاستخدام

لطالما شكلت بطاريات السيارات الكهربائية مصدر قلق للمستخدمين بسبب المخاوف المرتبطة بعمرها الافتراضي وارتفاع تكلفة استبدالها، إلا أن الدراسات الحديثة وبيانات الاستخدام الفعلي تكشف أنها أكثر متانة بكثير مما كانت تقدره الشركات المصنعة في السابق.

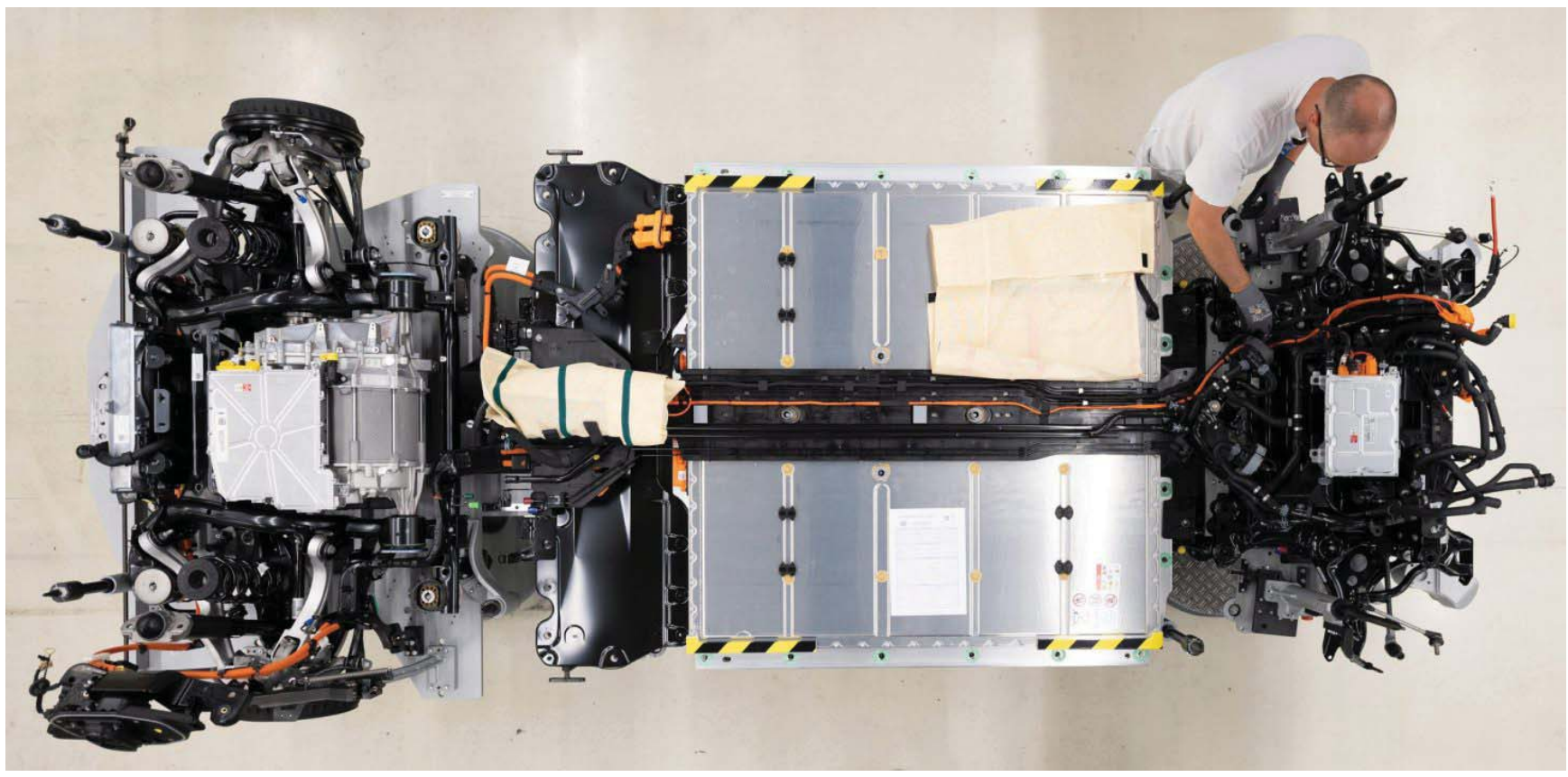

نظرة إلى المستقبل من زاوية أخرى

لندن - كسرت دراسات وتجارب حديثة الاعتقاد السائد بأن البطارية تمثل الحلقة الأضعف في السيارة الكهربائية، إذ تشير البيانات الميدانية إلى أنها أصبحت أحد أكثر مكوناتها اعتمادية.

ويعتقد الخبراء أن التطور المستمر في تقنيات التصنيع وإدارة الطاقة يوحي بأن البطاريات المقبلة ستكون أطول عمراً وأقل تكلفة وأكثر كفاءة.

وتشكل البطاريات حجر الأساس في مستقبل التنقل المستدام، لكنها لا تزال تمثل أكبر مصدر قلق للمستهلكين بسبب المخاوف المرتبطة بعمرها الافتراضي وتكاليف استبدالها.

غير أن نتائج الدراسات الحديثة وبيانات الاستخدام الفعلي بدأت تدحض كثيراً من هذه المخاوف، مؤكدة أن البطاريات الحديثة أكثر متانة وكفاءة مما كان يُعتقد سابقا.

ولم يكن التشكيك في عمر بطاريات السيارات الكهربائية أمرا مستغربا خلال السنوات الأولى لانتشار هذه المركبات، فقد اعتاد المستهلكون على ملاحظة التراجع السريع في أداء بطاريات الهواتف الذكية والحواسيب المحمولة.

وهذا الوضع دفعهم إلى افتراض أن البطاريات المستخدمة في السيارات ستسلك المسار نفسه، خاصة مع ارتفاع تكلفة استبدالها مقارنة بأي مكون آخر في السيارة.

ومع ذلك تشير التجارب الميدانية التي تراكمت على مدى العقد الماضي، إلى جانب الدراسات الأكاديمية، إلى أن هذا التصور لم يعد يعكس الواقع، وأن البطاريات أصبحت قادرة على العمل لفترات قد توازي العمر التشغيلي للمركبة نفسها.

وكشف تقرير نشرته صحيفة وول ستريت جورنال هذا الشهر، استناداً إلى بيانات شركة ريكارنت المتخصصة في متابعة أداء السيارات الكهربائية، أن معظم هذه الفئة من المركبات تحتفظ بنحو 95 في المئة من مدى القيادة الأصلي بعد خمس سنوات من الاستخدام.

> قد تقلل البطاريات طويلة الأمد من مخاوف استبدالها، مما يحسن قيمة المركبة ويخفف المخاوف بشأن تأثيرات الشحن السريع

ويتجاوز هذا المعدل بكثير التقديرات التي أعلنتها الشركات المصنعة عند إطلاق سياراتها، وفق ما نقلته منصة "سلاش غير" عن الصحيفة الأميركية.

وتبرز هذه النتائج عند مقارنتها بضمانات الشركات، إذ تؤكد تسلا، على سبيل المثال، أن بطاريات معظم طرازاتها ستحافظ على أكثر من 70 في المئة من سعتها الأصلية بعد ثماني سنوات.

وتشير بيانات الاستخدام الفعلي إلى أن معدل التدهور الحقيقي أبطأ بكثير، ما يعني أن الشركات تبنت تقديرات متحفظة لضمان هامش أمان واسع بدلاً من تقديم الحد الأقصى للعمر المتوقع.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك إصدار تسلا موديل أس 90 دي لسنة 2016، التي استخدمت لسنوات طويلة كسيارة أجرة في أحد مطارات المملكة المتحدة.

ووفق تقرير نشره موقع "إنسايد إي.في. أس"، قطعت السيارة نحو 692 ألف كيلومتر، باستخدام البطارية والمحركات الأصلية.

ورغم هذا الاستخدام المكثف لم تفقد سوى نحو 105 كيلومترات من مدى القيادة، لتحتفظ البطارية بما يقارب 78 في المئة من سعتها الأصلية بعد ما يقرب من عشر سنوات من التشغيل.

وتطرح هذه النتائج تساؤلاً مهماً حول أسباب التقليل من العمر الافتراضي للبطاريات خلال السنوات الماضية.

ويشير باحثون إلى أن السبب يعود بدرجة كبيرة إلى طبيعة الاختبارات المخبرية التي اعتمدتها شركات السيارات، والتي كانت تقوم على دورات شحن وتفريغ متواصلة في ظروف لا تشبه الاستخدام اليومي الحقيقي.

وفي دراسة أجرتها جامعة ستانفورد عام 2024 على 92 بطارية ليثيوم أيون واستمرت أكثر من عامين، تبين أن القيادة في الظروف الواقعية أقل إجهاداً للبطاريات مما كانت تفترضه النماذج التقليدية.

والقيادة اليومية تتخللها فترات توقف طويلة، وازدحام مروري، وساعات لا تُستخدم فيها السيارة، وهو ما يمنح الخلايا وقتاً لاستعادة استقرارها الكيميائي ويحد من سرعة التآكل.

وخلص الباحثون إلى أن البطاريات قد تدوم لفترة أطول تصل إلى 40 في المئة مقارنة بالتقديرات السابقة، بل إن إحدى النتائج المفاجئة للدراسة أظهرت أن التسارع القوي، الذي كان يُعتقد أنه يسرّع تدهور البطارية، قد يساهم بدرجة محدودة في تقليل معدل التآكل بدلاً من زيادته.

وتتوافق هذه النتائج مع تقديرات حديثة تشير إلى أن العمر الافتراضي للبطاريات يتراوح حالياً بين 15 و20 عاماً، ما يضعها على قدم المساواة تقريباً مع العمر التشغيلي للسيارات العاملة بمحركات الاحتراق الداخلي.

> أبحاث جامعة ستانفورد وجدت أن القيادة أقل إجهادا للبطاريات من الاختبارات، مما يطيل عمرها 40 في المئة

وبذلك، قد لا يضطر كثير من مالكي السيارات الكهربائية إلى استبدال البطارية طوال فترة امتلاكهم للمركبة.

وفي الوقت نفسه، لم يتوقف التطور عند إطالة العمر التشغيلي، بل شمل أيضاً خفض تكاليف الإنتاج.

ووفق بيانات بلومبيرغ أن.أف.إي، انخفضت أسعار بطاريات الليثيوم أيون بأكثر من 90 في المئة منذ عام 2010، نتيجة التطور التقني والتوسع في الإنتاج العالمي، ما أسهم في خفض تكلفة تصنيع السيارات الكهربائية تدريجياً.

كما شهدت البطاريات نفسها تطوراً ملحوظاً من حيث المواد المستخدمة في تصنيع الخلايا، وأنظمة التبريد، وبرمجيات إدارة الطاقة، التي باتت أكثر قدرة على التحكم في عمليات الشحن والتفريغ، والحفاظ على درجات الحرارة المثالية، وتقليل الإجهاد الذي تتعرض له الخلايا مع مرور الزمن.

ويظل الشحن السريع من أكثر الموضوعات إثارة للجدل بين المستخدمين، إذ يعتقد كثيرون أن الاعتماد المتكرر على الشواحن فائقة السرعة يؤدي إلى تقصير عمر البطارية بشكل كبير.

غير أن دراسة أجرتها شركة جيوتاب، المتخصصة في بيانات المركبات، خلال يناير الماضي، أظهرت أن متوسط التدهور السنوي لبطاريات السيارات الكهربائية يبلغ نحو 2.3 في المئة.

وأوضحت الدراسة أن السيارات التي تعتمد بصورة كبيرة على الشحن السريع بقدرات تزيد على 100 كيلوواط سجلت معدل تدهور سنوي يقترب من 3 في المئة، مقابل نحو 1.5 في المئة للسيارات التي تُشحن في معظم الأحيان داخل المنازل.

ورغم هذا الفارق، فإن تأثير الشحن السريع يبقى أقل بكثير مما كان يُعتقد، خاصة في ظل العمر التشغيلي الطويل الذي باتت تتمتع به البطاريات الحديثة.

وفي المقابل، تبقى درجات الحرارة المرتفعة العامل الأكثر تأثيراً في صحة البطارية، إذ أظهرت الدراسة أن المركبات المستخدمة في المناطق الحارة تتعرض لتآكل إضافي يبلغ نحو 0.4 نقطة مئوية سنوياً مقارنة بالسيارات العاملة في المناخات المعتدلة.

هوندا تطوي صفحة أيقونتها برولوج الرياضية متعددة الاستخدامات

طوكيو - في خطوة تعكس التحولات المتسارعة التي يشهدها سوق السيارات الكهربائية في الولايات المتحدة، أعلنت هوندا أنها ستوقف إنتاج سيارتها الرياضية متعددة الاستخدامات الكهربائية برولوج مع نهاية عام 2026.

وتنضم الشركة اليابانية بذلك إلى قائمة متزايدة من الطرازات الكهربائية التي تأثرت بتراجع الزخم في السوق الأميركية بعد انتهاء برنامج الإعفاءات الضريبية الفيدرالية في الولايات المتحدة.

ويأتي قرار هوندا تعليق هذا الإصدار ليعكس هذا التحول الاستراتيجي، ويؤكد أن مسار التحول الكهربائي لم يعد يسير وفق وتيرة واحدة لدى جميع المصنعين، وفق خبراء منصة "موتور ترينذ".

ويمثل القرار محطة مهمة في استراتيجية الشركة بأميركا الشمالية، حيث كانت برولوج أول سيارة كهربائية بالكامل تحمل شعار هوندا في الولايات المتحدة.

وأكدت هوندا أن مبيعات السيارة ستستمر خلال عام 2027 اعتماداً على المخزون المتوافر لدى الوكلاء، مشيرة إلى أن مالكي السيارة سيواصلون الاستفادة من خدمات ما بعد البيع، بما في ذلك الصيانة وقطع الغيار والضمان، عبر شبكة وكلائها في الولايات المتحدة وكندا.

وكانت برولوج ثمرة تعاون بين هوندا وجنرال موتورز، إذ بُنيت على منصة "ألتيوم" نفسها المستخدمة في شيفروليه بليزر الكهربائية التابعة لجنرال موتورز، مع تصميم خارجي وداخلي يحمل هوية هوندا ولغتها التصميمية.

> برولوج توفرت بخيارين لمنظومة الدفع، وقد اعتمدت الشركة في تصميمها فلسفة تجمع بين الطابع العصري والانسيابية الهوائية

وتنتمي برولوج إلى فئة السيارات الرياضية متعددة الاستخدامات (أس.يو.في) متوسطة الحجم، وتتوفر بخيارين لمنظومة الدفع، الأول بمحرك كهربائي واحد مع نظام الدفع الأمامي، والثاني بمحركين كهربائيين مع نظام الدفع الرباعي.

وتبلغ القوة القصوى في الفئة الأعلى نحو 300 حصان، مع عزم دوران يصل إلى 481 نيوتن متر، ما يوفر أداءً يتناسب مع متطلبات الاستخدام اليومي والرحلات الطويلة.

وزُودت السيارة ببطارية ليثيوم أيون بسعة تقارب 85 كيلوواط/ساعة، تمنحها مدى قيادة يصل إلى نحو 476 كيلومترا وفق معايير وكالة حماية البيئة الأميركية.

كما تدعم الشحن السريع بالتيار المستمر بقدرة تصل إلى 155 كيلوواط، بما يتيح إضافة نحو 105 كيلومترات من مدى القيادة خلال حوالي عشر دقائق من الشحن.

أما المقصورة، فتضم شاشة عدادات رقمية قياس 11 بوصة، إلى جانب شاشة معلومات وترفيه بقياس 11.3 بوصة تدعم خدمات غوغل بويلت - إن.

وبالإضافة إلى ذلك تزخر المقصورة بخدمات أبل كار بلاي وأندرويد أوتو اللاسلكيين، مع مجموعة متكاملة من أنظمة السلامة ومساعدة السائق ضمن حزمة هوندا سينسينغ.

وعلى صعيد التصميم، اعتمدت هوندا في هذه السيارة فلسفة تجمع بين الطابع العصري والانسيابية الهوائية، مع قاعدة عجلات طويلة ساهمت في توفير مساحة رحبة للركاب وصندوق أمتعة عملي يناسب الاستخدام العائلي.

كما ركزت الشركة على تقديم تجربة قيادة هادئة وسلسة بفضل مركز الثقل المنخفض الذي توفره البطارية المثبتة أسفل أرضية السيارة، إلى جانب نظام تعليق جرى ضبطه بما يتوافق مع هوية هوندا في القيادة المريحة.

ورغم هذا الانسحاب المؤقت، تؤكد هوندا أن السيارات الكهربائية لا تزال جزءاً من استراتيجيتها العالمية، إذ تواصل تسويق عدد من الطرازات الكهربائية في أوروبا وآسيا، من بينها إي - أن.واي 1 وأن.أس 1 وأن.بي 1 وأن - فان.

ولا تزال هذه الأسواق توفر بيئة أكثر استقراراً لنمو المركبات عديمة الانبعاثات، مدعومة بسياسات حكومية وتشريعات بيئية أكثر وضوحاً.

وضمن هذه الاستراتيجية، كشفت هوندا أخيراً عن الجيل الجديد من أكورد هايبرد، كما تستعد لإطلاق منظومة هجينة جديدة بمحرك سداسي الأسطوانات ستستخدم في طرازات باسبورت وبيلوت وريدجلاين وأوديسي.

ووسط ذلك أصبح طراز سيفيس هايبرد خياراً رئيسياً ضمن تشكيلة الشركة، مع أداء يتجاوز حتى نسخة أس.آي الرياضية من حيث القوة والتسارع.

ويشير هذا التحول إلى أن هوندا، على غرار عدد من الشركات العالمية، تتبنى نهجاً أكثر مرونة في مسار التحول نحو التنقل منخفض الانبعاثات، من خلال توزيع استثماراتها بين السيارات الكهربائية والهجينة والهيدروجينية، بدلاً من الاعتماد على تقنية واحدة.

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

المخضرم التونسي فوزي البنزرتي يطرق باب العودة إلى الدوري الليبي

اتحاد طرابلس يراهن على الخبرة لإعادة بناء الفريق

الحماس أبرز خصال الكبار

توصّلت هيئة نادي اتحاد طرابلس الليبي إلى اتفاق مبدئي مع فوزي البنزرتي لتولي تدريب الفريق في الفترة القادمة، حسب ما أفاد به مصدر مطلع. ووفقًا للعديد من وسائل الإعلام فإن إدارة الاتحاد قد أرسلت العقد إلى المدرب التونسي من أجل إمضائه، في انتظار تفعيل الاتفاق أو عدم تفعيله في الساعات أو الأيام القادمة.

تونس - أعلن نادي الاتحاد المنافس في الدوري الليبي لكرة القدم الثلاثاء تعاقده مع المدرب التونسي المخضرم فوزي البنزرتي لقيادة الفريق. وطوى البنزرتي (76 عاما) صفحة أخرى من مسيرته بعد أشهر قليلة من قيادته النادي الأفريقي إلى التتويج بلقب الدوري التونسي الممتاز.

ويغادر البنزرتي، أحد أبرز المدربين في تاريخ الكرة العربية والأفريقية، أسوار الأفريقي بعدما نجح في إعادة الفريق إلى منصة التتويج المحلية الموسم الماضي وإضافة لقب جديد إلى سجله الحافل بالإنجازات. وقال الاتحاد عبر حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي "بخبرة لا مثيل لها على المستويين العربي والقاري وبمسيرة ذهبية مُكللة بالأمجاد، عميد المدربين وصائد الألقاب، يحل قائدا للمرحلة القادمة مع عميد البلاد وزعيمها".

ويُعد البنزرتي من أكثر المدربين تتويجا في المنطقة العربية والقارة الأفريقية، إذ حصد خلال مسيرته الممتدة لأكثر من أربعة عقود نحو 25 لقبا مع عدة أندية ومنتخبات. وسبق للبنزرتي تدريب العديد من الأندية في تونس وخارجها، من بينها الترجي والنجم الساحلي والأفريقي وكذلك الوداد والرجاء في المغرب، إضافة إلى المنتخب التونسي.

عرض ضخم

وكان المدرب القدير قد قاد النادي الأفريقي في الموسم المنقضي إلى استعادة لقب الدوري المحلي، الذي كان غائباً عن خزائن النادي منذ موسم 2014 – 2015، وهو الإنجاز الذي مكن الفريق من العودة مجدداً إلى منافسات دوري أبطال أفريقيا، وجعل من المدرب هدفا للعديد من الأندية.

وأثيرت مخاوف داخل النادي الأفريقي من رحيل المدرب فوزي البنزرتي، بعد أن ارتبط اسمه بإمكانية تولي قيادة الجهاز الفني لنادي الاتحاد الليبي، خلفا للمدرب الجنوب أفريقي رولاني موكوينا، الذي تولى تدريب بيراميدز في مصر.

وبلغت قيمة هذا العرض المالي ما يعادل مرتين ونصف المرة قيمة العرض المالي الذي تقدم به النادي الأفريقي لتجديد عقد مدربه الحالي. ولم يوقع فوزي البنزرتي على عقده الجديد مع النادي الأفريقي، حيث ينتظر المدرب التونسي الاطلاع على ملامح قائمة اللاعبين الذين سيعملون معه خلال الموسم المقبل، وذلك قبل اتخاذ قراره النهائي بشأن موقفه من البقاء أو الرحيل.

ويأتي تحرك إدارة الاتحاد ضمن خطة لإعادة بناء الفريق بعد نهاية الموسم، حيث ترى أن المرحلة المقبلة تتطلب مدربا يمتلك شخصية قوية وخبرة كبيرة في إدارة المباريات الحاسمة، خاصة مع طموحات النادي في المنافسة على لقب الدوري الليبي والظهور بصورة قوية في الاستحقاقات القارية.

> البنزرتي (76 عاما) طوى صفحة أخرى من مسيرته بعد أشهر قليلة من قيادته النادي الأفريقي إلى التتويج بلقب الدوري التونسي

ويعد فوزي البنزرتي أحد أكثر المدربين تتويجًا في شمال أفريقيا، إذ سبق له أن قاد أندية كبيرة في تونس والمغرب، كما خاض تجارب مع عدد من المنتخبات الوطنية، واشتهر بقدرته على صناعة فريق منافس في وقت قصير، إلى جانب خبرته الطويلة في البطولات الأفريقية والعربية.

كما يمتلك البنزرتي معرفة جيدة بأجواء الكرة الليبية، بعدما سبق له العمل في الدوري الليبي، وهو ما قد يسهل عملية تأقلمه مع الفريق في حال إتمام الاتفاق، ويمنحه أفضلية في التعامل مع طبيعة المنافسة واللاعبين. وتشير المصادر إلى أن المفاوضات تركز حاليا على بعض التفاصيل المتعلقة ببنود العقد، إلى جانب تشكيل الجهاز الفني والمدة الزمنية للتعاقد، قبل الإعلان الرسمي عن الصفقة.

وتسعى إدارة الاتحاد إلى حسم ملف المدرب خلال الأيام القليلة المقبلة، حتى ينطلق الفريق في فترة الإعداد للموسم الجديد مبكرا، ويمنح الجهاز الفني الوقت الكافي لتقييم قائمة اللاعبين، وتحديد احتياجات الفريق في سوق الانتقالات. ورغم الأجواء الإيجابية التي تحيط بالمفاوضات، لم يصدر حتى الآن أي إعلان رسمي من إدارة نادي الاتحاد أو من المدرب التونسي، ما يعني أن الصفقة لا تزال في انتظار اللمسات الأخيرة قبل دخولها حيز التنفيذ.

وفي حال نجاح المفاوضات، فإن تعاقد الاتحاد مع فوزي البنزرتي سيعد من أبرز صفقات الأجهزة الفنية في الكرة الليبية هذا الصيف، بالنظر إلى قيمة المدرب وسيرته التدريبية، والطموحات الكبيرة التي يرفعها النادي للعودة إلى منصات التتويج محليا والمنافسة بقوة على الساحة الأفريقية.

مسيرة حافلة

من الاتحاد المنستيري انطلقت مسيرة فوزي البنزرتي نحو عالم التدريب بعد اعتزاله اللعب وتفضيله الجلوس على دكة البدلاء منذ سنة 1979 رغم أن تجربته انطلقت سنة 1977 مع فريق أولمبيك سيدي بوزيد وأسس منذ ذلك الحين لفكر خاص به جعل 14 فريقا تفضل الاعتماد عليه في المواقف الصعبة، و"عند الشدة يظهر معدن الرجال" فهو من قاد أغلب الأندية التي دربها للصعود إلى منصات التتويج المحلية أو الأفريقية وكان خير من ائتمن على أمانة الأندية بحصد الأخضر واليابس من ألقاب وبطولات، ويملك فوزي البنزرتي في سجله 25 لقبا فاز بها كلها مع الأندية التونسية والمغربية طوال مسيرته التدريبية الممتدة لفترة 47 عاما حيث حقق أول بطولة له سنة 1987 مع النجم الساحلي لتكون فاتحة خير على مساره التدريبي الذي توج بلقب جديد مع النادي الأفريقي.

يعد فوزي البنزرتي المدرب التونسي والعربي الأكثر تتويجا في التاريخ برصيد يصل إلى 25 لقبا كان أكثرها مع الترجي الرياضي (11 لقبا) موزعة على 5 بطولات محلية ولقب واحد في كل من دوري الأبطال الأفريقية وكأس السوبر الأفريقي وكأس السوبر التونسي وثلاثة ألقاب لدوري أبطال العرب. وفاز البنزرتي مع النجم الساحلي بـ8 ألقاب وهي البطولة المحلية (4 مرات) وكأس الكونفدرالية (2006 و2015) وكأس تونس 2015 وكأس السوبر التونسي (1987).

أما مع النادي الأفريقي ففاز بلقبي البطولة مرتين عامي 1990 و1996 كما توج مع نادي الوداد المغربي بلقب الدوري المغربي مرتين عامي 2019 و2021 بجانب كأس السوبر الأفريقي في عام 2018، وحقق فوزي البنزرتي مع نادي الشارقة لقب الدوري الإماراتي (2000 – 2001)، كما حقق ألقابا أخرى وإنجازات كان أبرزها الوصول إلى نهائي كأس العالم للأندية 2013 مع الرجاء البيضاوي عندما خسر النهائي أمام بايرن ميونخ.

ثلاث جوائز ومسار واحد.. الإسباني رودري يقتفي أثر الأساطير

الرباط - في حقبة كروية صاخبة، تلهث فيها الكاميرات خلف المهاجمين وأصحاب المهارات الاستعراضية، نجح رجل واحد في إعادة الاعتبار للمراكز غير المرئية، محولا دور لاعب الارتكاز إلى الفن الأرقى والأكثر تأثيرا في اللعبة.

إنه رودريغو هيرنانديز كاسكانتي، أو ببساطة "رودري"، الرجل الذي لم يكتف بضبط إيقاع خط وسط منتخب إسبانيا وفريق مانشستر سيتي الإنجليزي لكرة القدم، بل ضبط إيقاع التاريخ الكروي الحديث ليجمع بين الكرة الذهبية لعام 2024 وتتويجه الأحدث كأفضل لاعب في كأس العالم 2026.

لم يكن رودري في ليلة التتويج الإسباني بكأس العالم 2026 أكثر لاعبي البطولة تسجيلا، ولا أكثرهم صناعة للأهداف، ولا صاحب اللقطات الأكثر انتشارا. لكنه كان، مرة أخرى، اللاعب الذي بدا أن المباراة تتحرك وفق إيقاعه الخاص.

وعندما أعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) اختياره للفوز بالكرة الذهبية لأفضل لاعب في المونديال، كان الإسباني يضيف فصلا جديدا إلى مسار استثنائي بدأ قبل عامين تقريبا. وفي أكتوبر عام 2024، حصل رودري على الكرة الذهبية العالمية، بعد موسم قاد فيه مانشستر سيتي إلى لقب الدوري الإنجليزي الممتاز للمرة الرابعة على التوالي، ثم لعب دورا محوريا في تتويج إسبانيا بكأس الأمم الأوروبية، بوصفه أفضل لاعب في البطولة. واليوم، يأتي الاعتراف الأكبر ليؤكد أن الأمر لم يعد يتعلق بموسم عابر، بل بظاهرة تكتيكية فريدة، لاعب لا يحتاج إلى أن يكون آخر من يلمس الكرة كي يكون أول من يحدد اتجاه المباراة.

اللافت في قصة رودري أن الجوائز الثلاث الكبرى لم تأت نتيجة تحول مفاجئ في أسلوبه، بل جاءت تأكيدا متتاليا على القيمة التكتيكية نفسها التي يقدمها، وبلغة أرقام صارمة. في كأس أمم أوروبا 2024، شارك رودري في ست مباريات، خاض خلالها 521 دقيقة، وأكمل 411 تمريرة من أصل 439، بنسبة نجاح تجاوزت 92 في المئة، ليكون الركيزة الفولاذية التي قادت إسبانيا إلى لقبها الأوروبي الرابع.

وفي كأس العالم 2026، منح المسار ختامه النهائي، إذ تربع على عرش أكثر لاعبي المونديال تمريرا بـ435 تمريرة، بدقة بلغت 94 في المئة، إلى جانب 12 محاولة لكسر الخطوط الدفاعية، نجح في 92 في المئة منها.

هذه الأرقام تكشف حقيقة جوهرية؛ رودري لم يكن يمرر الكرة لمجرد الاحتفاظ بها، بل لنقل إسبانيا بدقة إلى المساحة التي تريد السيطرة عليها. وفي كرة القدم الحديثة، أصبح من السهل قياس النجومية عبر خوارزميات الأهداف والتمريرات الحاسمة والمراوغات، وهي أرقام مهمة، لكنها تعجز عن التقاط قيمة اللاعب الذي يتحكم في المسافات بين الخطوط، ويحدد متى يبطئ اللعب ومتى يسرعه، مانحا زملاءه الوقت والمساحة.

> عندما أعلن فيفا اختياره للفوز بالكرة الذهبية لأفضل لاعب في المونديال، كان الإسباني يضيف فصلا جديدا إلى مسار استثنائي

هنا تحديدا تكمن خصوصية رودري، فهو لا يملك الامتياز الإحصائي للمهاجم أو الجناح، بل إن وظيفته أكثر تعقيدا وعمقا. إنه المحطة التي يبدأ منها البناء، ومركز العمليات الذي يمر عبره الانتقال، والملاذ الذي يعود إليه الفريق لاستعادة توازنه. ولهذا، فإن أفضل طريقة لتقييمه ليست السؤال: "كم هدفا سجل؟" بل: "كم مرة جعل فريقه قادرا على فرض أسلوبه؟".

كان فوز رودري بالكرة الذهبية في 2024 لحظة فارقة لكرة القدم الإسبانية والعالمية، لأنه كسر التقليد الطويل الذي يحتكر بموجبه المهاجمون وصناع الأهداف الجوائز الفردية. ورغم هذا التقدير، لم يحاول رودري أن يغير وظيفته أو يبحث عن اللقطات الاستعراضية، بل ظل لاعب الوسط الملتزم بربط المساحات ومنح فريقه التوازن، ليثبت أن إدارة الإيقاع هي موهبة هجومية ودفاعية في آن واحد.

ثم جاء المونديال الأخير ليؤكد الفكرة ذاتها في بيئة أكثر تعقيدا، فكأس العالم بطولة مغلقة تحسم بالتفاصيل الصغيرة، وفيها اختاره فيفا كأفضل لاعب في البطولة، متفوقا على أبرز المهاجمين والهدافين، في إشادة صريحة باللاعب الذي يجعل الفريق بأكمله يعمل داخل منظومة واحدة.

في المنتخب الإسباني، لا يمثل رودري مجرد لاعب وسط، بل هو المفتاح التكتيكي الذي يسمح للهوية الإسبانية بأن تعمل بكفاءة. وراء الأرقام الهجومية لمنتخب إسبانيا في أمم أوروبا، حيث كان المنتخب الإسباني أقوى خطوط البطولة هجوميا بتسجيله 15 هدفا، كان رودري يمنح المنظومة أثمن ما تحتاجه... الأمان. فعندما يتقدم الظهيران، يكون هو القارئ الأول للخطر قبل تحوله إلى مرتدة، وعندما يضغط المنافس، يستقبل الكرة تحت عبء الرقابة ليتخذ القرار الصحيح. وعندما يتكتل المنافس، يحرك اللعب عرضيا وطوليا بسلاسة. إنه ليس مجرد حارس أمام الدفاع، بل المهندس الفعلي للمباراة.

الأرقام القياسية تتهاوى.. بيلينغهام وكين وميسي في واجهة المونديال

نيويورك - أسدل الستار على بطولة كأس العالم لكرة القدم 2026 في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، بتتويج منتخب إسبانيا باللقب للمرة الثانية في تاريخه، عقب تغلبه 1 – 0 على منتخب الأرجنتين، بعد التمديد في المباراة النهائية للمونديال الذي انطلقت فعالياته في 11 يونيو الماضي.

كان جود بيلينغهام، وهاري كين، وكيليان مبابي، وليونيل ميسي، ومايكل أوليسه، ورودري، وكريستيانو رونالدو، وإيليوي روم من بين أبرز الذين حطموا أرقاما قياسية في المونديال المنقضي. وستظل هذه الأرقام خالدة في ذاكرة محبي الساحرة المستديرة في العالم، وهو ما نلقي عليه الضوء في السطور التالية.

ديك أدفوكات أكبر مدرب سنا (78 عاما). بدأ المدرب الألماني أوتو ريهاغل، الملقب بـ"الملك" كأس العالم 2026 متصدرا قائمة أكبر مدربي المونديال سنا على مر التاريخ، واختتمه في المركز الخامس. ويتخلف الآن السيد ريهاغل، الذي قاد منتخب اليونان بمونديال 2010 في سن 71 عاما، عن البرتغالي كارلوس كيروش، مدرب غانا في المونديال المنقضي 73 عاما و124 يوما)، والبلجيكي هوغو بروس، مدرب جنوب أفريقيا (74 عاما و79 يوما)، والتشيكي ميروسلاف كوبيك، مدرب منتخب بلاده (74 عاما و296 يوما)، والهولندي ديك أدفوكات، الذي كان يبلغ من العمر 78 عاما و271 يوما، عندما قاد منتخب كوراساو ضد كوت ديفوار في مرحلة المجموعات بالمونديال الأخير.

كان هذا الإنجاز بعيد المنال عن لاعبين كبار مثل الثنائي المجري ساندور كوتشيس وفيرينك بوشكاش، والبرازيليين جايرزينيو وبيليه، والثنائي البرازيلي الآخر المكون من ريفالدو ورونالدو، لكن سبقهم ثنائي المنتخب الإنجليزي (بيلينغهام وكين) ثم كرره الثنائي الفرنسي (ديمبيلي ومبابي).

ديدييه ديشان المدرب الأكثر مشاركة في المباريات (26). احتاج الألماني هيلموت شون إلى أربع نسخ من كأس العالم ليصل إلى 25 مشاركة مع منتخب بلاده في المونديال، قبل أن يتجاوزه ديشان في أربع نسخ هو الآخر، رغم غيابه عن فوز منتخب فرنسا 1 – 4 على نظيره النرويجي في مرحلة المجموعات لحضوره جنازة والدته.

وقاد ديشان (57 عاما) منتخب فرنسا إلى دور الثمانية بنسخة كأس العالم عام 2014 بالبرازيل، ثم إلى اللقب بعد أربع سنوات في مونديال روسيا، وحل وصيفا في النسخة التالية بقطر عام 2022، ورابعا في هذه النسخة. كما تفوق ديشان، الذي توج باللقب عام 1998 حينما كان لاعبا، على شون في قائمة أكثر المدربين فوزا في مباريات كأس العالم.

يوهان مانزامبي أصغر بديل يسجل هدفين، دخل اللاعب السويسري، الذي ارتدى القميص رقم 9، إلى أرض الملعب بينما كان منتخب بلاده يعاني أمام منتخب البوسنة والهرسك، ولكن وبعد دقيقتين و46 ثانية فقط افتتح التسجيل. وعاد مانزامبي، الذي كان يبلغ حينها 20 عاما و247 يوما، ليسجل هدفا آخر ويطيح بالباراغوياني نيلسون كويفاس من تاريخ المونديال.

كيليان مبابي الهداف التاريخي (22 هدفا)، كان المهاجم الألماني المعتزل ميروسلاف كلوزه متصدرا لقائمة الهدافين التاريخيين لكأس العالم، بفارق 3 أهداف أمام أقرب ملاحقيه قبل انطلاق النسخة الـ23 للمونديال.

وكان الأرجنتيني ليونيل ميسي بحاجة إلى هدف واحد فقط ليعادل الرقم القياسي لكلوزه، ثم انخرط هو والفرنسي كيليان مبابي في سباق مثير وممتع لإنهاء تلك النسخة من البطولة في الصدارة. وتقدم ميسي على مبابي بهدف واحد في بداية المونديال، وبثلاثة أهداف في نهاية مرحلة المجموعات، لكن الفرنسي انطلق في الأمتار الأخيرة ليقتنص قمة ترتيب الهدافين التاريخيين لكأس العالم الآن، بفارق هدف أمام قائد منتخب الأرجنتين، الذي حل ثانيا.

تمكن ليونيل ميسي من تحطيم ثلاثة أرقام قياسية خلال مشاركته في المونديال الأخير، حيث بات اللاعب الأكثر تحقيقا للانتصارات في البطولة برصيد 23 فوزا، ليسقط كلوزه من عرش قائمة أكثر اللاعبين انتصارا في البطولة. ويتفوق ميسي، الذي قاد الأرجنتين لتحقيق 7 انتصارات في كأس العالم 2026، بفارق 6 انتصارات أمام أقرب ملاحقيه مبابي.

أما الرقم القياسي الثاني لميسي فهو تمكنه من التسجيل في 9 مباريات متتالية بكأس العالم، ليصبح أول لاعب في التاريخ يحقق هذا الإنجاز، متفوقا على رقم الفرنسي جاست فونتين والبرازيلي جايرزينيو، اللذين كانا يتقاسمان الرقم القياسي بتسجيلهما في 6 لقاءات متتالية بالبطولة.

كما صار ميسي الأكثر تسجيلا للأهداف من خارج منطقة الجزاء في كأس العالم، عقب إحرازه 7 أهداف بتلك الطريقة، وذلك في شباك منتخبات البوسنة والهرسك، وإيران ونيجيريا بمونديال 2014، والمكسيك عام 2022، ثم أضاف ميسي هدفين ضد الجزائر من خارج منطقة الجزاء، وهدفا آخر ضد الأردن.

العرب
الأربعاء 2026/07/22
السنة 49 العدد 13867

الإمارات تحول الرطب إلى موسم ثقافي وسياحي

من قلب واحات الظفرة، تتحول النخلة إلى قصة نابضة بالحياة، حيث يجمع مهرجان ليوا للرطب بين عبق التراث وروح المنافسة الزراعية، في احتفال يعكس علاقة الإمارات التاريخية بالنخيل، ويمنح المزارعين منصة لعرض أجود الإنتاج، وسط أجواء ثقافية وفنية تستقطب الزوار من داخل الدولة وخارجها.

إحياء تراث النخيل

أبوظبي - تواصل الدورة الثانية والعشرون من مهرجان ليوا للرطب في منطقة الظفرة بالإمارات استقطاب آلاف الزوار، مقدمةً تجربة تجمع بين التراث والزراعة والثقافة والسياحة، في حدث أصبح أحد أبرز المواسم السنوية للاحتفاء بالنخلة ومنتجاتها، وترسيخ مكانتها باعتبارها رمزًا للهوية الإماراتية وركيزة من ركائز الأمن الغذائي والتنمية المستدامة.

وتنظم المهرجان، الذي يستمر حتى 23 يوليو الجاري، هيئة أبوظبي للتراث، بمشاركة واسعة من المزارعين والأسر المنتجة والجهات الزراعية، إلى جانب الفرق الشعبية التي تقدم عروضا تراثية يومية تعكس أصالة الفنون الإماراتية.

وتحضر الفنون الشعبية بقوة في مختلف أرجاء المهرجان، حيث تقدم الفرق التراثية عروضا يومية لفني العيالة والحربية في السوق التراثي وسوق الرطب والساحات المفتوحة والمسرح الرئيسي، لتمنح الزوار تجربة ثقافية متكاملة تعيد إحياء جانب مهم من الموروث الشعبي الإماراتي.

وتساهم هذه العروض في تعريف الأجيال الجديدة بالفنون التقليدية التي ارتبطت بتاريخ المجتمع الإماراتي، وتؤكد حرص الجهات المنظمة على الحفاظ على الهوية الوطنية إلى جانب الاحتفاء بالموسم الزراعي.

ويشكل التنافس بين المزارعين أحد أبرز محاور مهرجان ليوا للرطب، إذ يحتفي بإنتاج الموسم الحالي من الرطب عبر سلسلة من المسابقات التي تشجع على تحسين جودة الإنتاج وتبادل الخبرات.

وشهدت مسابقة مزاينة رطب الخلاص منافسة كبيرة بين 43 مزارعا قدموا نحو 430 كيلوغراما من أجود أنواع الرطب، خضعت جميعها لتقييم لجان تحكيم متخصصة وفق معايير دقيقة تتعلق بالجودة والحجم واللون والنضج، فيما خصصت اللجنة المنظمة 25 جائزة للفائزين.

وشهدت الدورة الحالية منافسات متميزة في مسابقات مزاينة رطب بومعان وسلة فواكه الدار والتين الأحمر والأصفر، في إطار تشجيع المزارعين على تنويع الإنتاج الزراعي وإبراز جودة المنتجات المحلية.

ويضم المهرجان هذا العام 23 مسابقة موزعة على مختلف أصناف الرطب والفواكه، إضافة إلى مسابقات للمزرعة النموذجية، وأجمل مخرافة رطب، والإبداع في الصناعات القائمة على جذع النخلة، مع تخصيص 295 جائزة تتجاوز قيمتها الإجمالية ثمانية ملايين درهم.

ويقدم مهرجان ليوا للرطب تجربة متكاملة تجمع بين الأسواق الشعبية والمنتجات المحلية والحرف التقليدية والأنشطة العائلية.

ويتيح السوق التراثي للزوار التعرف إلى الحرف الإماراتية القديمة، فيما تعرض الأسر المنتجة صناعات غذائية ومنتجات مستوحاة من النخلة، إلى جانب بيع فسائل النخيل والأدوات الزراعية والمستلزمات الخاصة بالمزارعين.

وخصصت مساحات للأطفال تضم أنشطة تعليمية وترفيهية تعرفهم بأهمية النخلة في حياة المجتمع الإماراتي، إضافة إلى ورش عمل وبرامج توعوية ومسابقات يومية تعزز الوعي الزراعي والبيئي.

وتحظى النخلة بمكانة استثنائية في دولة الإمارات، إذ ارتبطت بتاريخ المجتمع وحياته الاقتصادية والاجتماعية، وشكلت لعقود مصدرًا للغذاء والاستقرار.

وأصبحت مهرجانات الرطب إحدى الأدوات العملية لدعم هذا القطاع، إذ توفر للمزارعين منصات لتسويق منتجاتهم، وتشجع على تبني أفضل الممارسات الزراعية، فضلاً عن نقل الخبرات بين المختصين والمنتجين.

ويمثل مهرجان ليوا بداية موسم حافل بالفعاليات الزراعية في الإمارات، إذ تستعد مدينة العين لاستضافة الدورة الأولى من مهرجان العين للرطب خلال الفترة من 25 إلى 31 يوليو، متضمنًا 19 مسابقة و245 جائزة تتجاوز قيمتها خمسة ملايين درهم.

وفي الوقت نفسه، يواصل مهرجان دبي للرطب تعزيز حضوره من خلال مسابقات جديدة تشجع الأسر على زراعة النخيل داخل المنازل، بينما يحتفل مهرجان الذيد للرطب بمرور عشر سنوات على انطلاقه، عبر مسابقات متنوعة تشمل الرطب والتين والليمون المحلي ومنافسات مخصصة للنساء والأطفال.

وتعكس هذه الفعاليات تكامل الجهود بين مختلف إمارات الدولة لدعم قطاع النخيل، وتعزيز دوره الاقتصادي والثقافي والسياحي.

لا تمثل زراعة النخيل موروثا تاريخيا فحسب، بل تعد أحد القطاعات الاستراتيجية في دولة الإمارات، حيث يُصنف التمر ضمن المحاصيل الأساسية في الاستراتيجية الوطنية للأمن الغذائي 2051.

وتشير البيانات الزراعية إلى أن إمارة أبوظبي وحدها تضم أكثر من 6.75 مليون نخلة موزعة على أكثر من 22 ألف مزرعة، فيما تعد الإمارات من أكبر الدول اهتمامًا بزراعة النخيل، بعدما سجلت أكثر من 40 مليون نخلة في موسوعة "غينيس"، واحتلت المرتبة الثالثة عالميًا في تصدير التمور.

وتؤكد هذه الأرقام أن مهرجانات الرطب لم تعد مجرد مناسبات موسمية، بل تحولت إلى منصات اقتصادية وثقافية متكاملة تدعم المزارعين، وتنشط السياحة، وتحافظ على التراث، وتكرس مكانة النخلة بوصفها رمزا للعطاء والاستدامة في الإمارات.

الفيلم التونسي «هلع» ينافس رسميا في مهرجان البندقية

تونس - أعلن المركز الوطني للسينما والصورة في تونس اختيار الفيلم "هلع" (الرجل الأجوف) للمخرج كمال العريضي للمشاركة ضمن المسابقة الرسمية لأسبوع النقاد الدولي، وهو أحد أبرز الأقسام الموازية للدورة الثالثة والثمانين من مهرجان البندقية السينمائي، المقررة إقامته خلال الفترة الممتدة من 2 إلى 12 سبتمبر 2026.

ووصف المركز هذا الاختيار بأنه إنجاز جديد للسينما التونسية، خاصة أن المسابقة اقتصرت هذا العام على سبعة أفلام أولى فقط من مختلف أنحاء العالم، في تأكيد على المكانة التي باتت تحظى بها الأعمال التونسية في المحافل السينمائية الدولية. ومن المنتظر أن يشهد الفيلم عرضه العالمي الأول يوم 9 سبتمبر 2026 بمدينة البندقية الإيطالية، بحضور صناعه وعدد من النقاد والمهنيين.

ويُعد فيلم "هلع" أول تجربة سينمائية طويلة للمخرج كمال العريضي، ويقدم معالجة نفسية مشوقة تمزج بين الدراما والتشويق والغموض. وتدور أحداث الفيلم حول رجل يجد نفسه محاصرا بمخاوفه وهواجسه بعد سلسلة من الأحداث الغامضة التي تقلب حياته رأسًا على عقب، ليبدأ رحلة داخلية معقدة بين الواقع والخيال، حيث تتداخل الذكريات مع الكوابيس، ويصبح البحث عن الحقيقة مواجهة مباشرة مع أكثر مخاوفه عمقًا.

ويعالج العمل موضوعات مثل الصدمات النفسية، والعزلة، والخوف من المجهول، في قالب بصري يعتمد على أجواء التوتر والإثارة النفسية.

ويمثل اختيار الفيلم ضمن أسبوع النقاد فرصة مهمة لتسليط الضوء على جيل جديد من السينمائيين التونسيين، إذ تُعرف هذه التظاهرة باحتضانها للأفلام الأولى التي تقدم رؤى فنية مبتكرة، وكانت في السابق بوابة لانطلاق العديد من المخرجين الذين حققوا حضورًا عالميًا.

ياسمين عبدالعزيز تفاجئ جمهورها بقرار جريء

القاهرة - كشفت الفنانة المصرية ياسمين عبدالعزيز عن تفاصيل تجربتها السينمائية الجديدة خلال حضورها العرض الخاص لفيلم "خلي بالك من نفسك"، مؤكدة أن الجمهور بات أكثر وعيا وقدرة على التمييز بين الأعمال الجيدة والضعيفة، وأن الاجتهاد والتجديد أصبحا شرطين أساسيين للاستمرار والنجاح في الساحة الفنية.

وجاءت تصريحات ياسمين خلال لقاء مع برنامج "إي تي بالعربي"، حيث ظهرت بخفة ظلها المعهودة إلى جانب الفنان أحمد السقا، شريكها في بطولة الفيلم.

وأكدت ياسمين أن هذه الصداقة مع السقا كان لها أثر إيجابي واضح على أجواء العمل، إذ ساهمت في جعل التعاون بينهما أكثر راحة وسلاسة.

وقالت إن معرفتهما الطويلة ببعضهما البعض سهّلت الكثير من تفاصيل التصوير والتفاهم الفني، مشيرة إلى أن فيلم "خلي بالك من نفسك" يمثل أول تعاون سينمائي يجمعهما، بعد أن سبق لهما العمل معًا في إعلان تجاري ومسرحية.

وفي حديثها عن تجربتها الجديدة، أوضحت ياسمين أنها اختارت هذه المرة الابتعاد عن الأدوار الكوميدية التي ارتبط اسمها بها لسنوات، وخوض تجربة مختلفة تعتمد على مشاهد الحركة والإثارة. وأكدت أن التنوع ضرورة لأي فنان يسعى للحفاظ على حضوره وتقديم أعمال متجددة للجمهور.

وشددت على أن الممثل لا ينبغي أن يحصر نفسه في نوع واحد من الأدوار، بل يجب أن يكون قادرا على تقديم الدراما والكوميديا والرومانسية وأفلام الحركة، معتبرة أن التنوع هو ما يمنح الفنان القدرة على التطور والاستمرار.

قبة مملوكية مرممة تزين القاهرة التاريخية

القاهرة - افتتح وزير السياحة المصري شريف فتحي، مساء الاثنين، القبة الأثرية لضريح السلطان المملوكي الأشرف قايتباي في حي الجمالية بالعاصمة القاهرة، بعد الانتهاء من مشروع ترميم استمر سنوات.

وتُعد القبة واحدة من أروع نماذج العمارة المملوكية في مصر، وتتميز بزخارفها الحجرية الدقيقة، ونسبها المعمارية المتقنة، وتفاصيلها الفنية التي تعكس ذروة ازدهار الفنون الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي، ما جعلها من أبرز معالم القاهرة التاريخية.

وأغلقت السلطات المصرية القبة لعدة سنوات عقب تعرضها لعمليات سرقة بالعام 2011، قبل أن تبدأ بالعام 2015 تنفيذ خطة ترميم شاملة، أشرف عليها المجلس الأعلى للآثار بالتعاون مع سفارة واشنطن في القاهرة، وفق وسائل إعلام مصرية.

ويُعد أبو النصر قايتباي أحد أبرز سلاطين المماليك الجراكسة، وتولى حكم مصر بين عامي 1468 و1496.

واشتهر بحركة عمرانية واسعة، شملت بناء وتجديد عشرات المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية داخل مصر وخارجها، ويُنظر إليه باعتباره أحد أعظم رعاة العمارة الإسلامية في العصر المملوكي.

وأمر قايتباي بإنشاء مجموعته المعمارية الشهيرة بين عامي 1472 و1474، لتضم مسجدا ومدرسة وقبة ضريحه وسبيلا وكتّابا وربعا وحوضا لسقاية الدواب، ولتصبح واحدة من أهم المجموعات المعمارية الباقية من العصر المملوكي.

صباح العرب

حنان مبروك
صحافية تونسية

هل مات زمن الشاعر الذي تهتز له العواصم العربية؟

تحيي فلسطين حتى أكتوبر المقبل الذكرى المئوية لميلاد "شاعر المقاومة والانتفاضة" معين بسيسو، وكأنها تقول للدنيا إن الشعر لا يموت ما دام صاحبه قد كتب كلمات صادقة تلامس الوجدان الفلسطيني والعربي.

ولد معين بسيسو عام 1926 في غزة وتوفي عام 1984 بلندن، وعاش حياته متنقلا بين السجن والمنفى، حاملا القصيدة كما يحمل المناضل بندقيته، وحاملا قلمه كأنه رصاصته الأخيرة.

لم يكن اسم بسيسو مجهولا في بغداد أو تونس أو القاهرة أو دمشق وبيروت، كان حاضرا في الصحف، وعلى المنابر، وفي المدارس والجامعات، والطرقات، لأن الشاعر يومها كان شخصية عامة، تؤثر في الرأي العام كما يفعل السياسي والمفكر.

وأمثال بسيسو كثر ولو اختلف الأسلوب والكلمات والتجربة، منهم محمود درويش وسميح القاسم ونزار قباني وأحمد مطر وبدر شاكر السياب وأمل دنقل وفدوى طوقان وغيرهم، واستحضارهم اليوم يطرح سؤالا مهما: لماذا لم نعد نرى شعراء يحظون بالمكانة نفسها التي حظي بها هؤلاء؟ لماذا لم يعد للعالم العربي شاعر يهتز لاسمه المشرق والمغرب؟

الشعر لم يمت، ولا الشعراء انقرضوا. على العكس، ربما لم يكتب العرب الشعر كما يكتبونه اليوم. في كل مدينة شاعر، وفي كل منصة رقمية عشرات القصائد، ودواوين تصدر كل عام، وأصوات جديدة تمتلك لغة مدهشة وحساسية مختلفة، وتؤكد أن الشعر ما زال قلب الأمة النابض، وتتنوع دقاته أكثر من أي وقت مضى.

فهل الذي تغير هو العالم الذي يستقبل الشعر؟

في زمن معين بسيسو، كانت القصيدة حدثا، تنشرها الصحيفة، وتقرأها الإذاعة، وتناقشها الندوات، ويحفظها الجمهور، وتلقن للأطفال في البيوت والمدارس، أما اليوم فقد تفتت الجمهور إلى آلاف الشاشات والمنصات والخوارزميات.

قد يقول البعض إن المقاومة نفسها تغيرت، لكن المقاومة مستمرة، فما كتب عنه قباني أو بسيسو أو السياب وغيرهم، هو حال الأمة منذ عقود، لا بل ازداد حالنا سوءا. واليوم أصبح مفهوم المقاومة أكثر من مجرد مقاومة محتل عسكري، هناك من يقاوم الفساد، ومن يقاوم الاستبداد، ومن يقاوم الجهل، ومن يقاوم العزلة والاكتئاب، ومن يقاوم الرداءة الثقافية وسط طوفان المحتوى السريع.

ولعل المشكلة ليست في الشعراء بقدر ما هي في المؤسسات الثقافية والإعلامية وفي السياسات الثقافية. فمن الذي يصنع اليوم مكانة الشاعر؟ من يحوله من مجرد اسم يوقع ديوانا إلى صوت يمثل جيلا كاملا؟ ومن المستفيد من إخماد صوته وحبسه في حدود التجمعات النخبوية؟

في الماضي كانت الصحف، ودور النشر، والاتحادات الثقافية، والمهرجانات، تقوم بهذا الدور، وأحيانا تتحدى السياسات الثقافية المرتعشة التي تخيفها سهام الشعر الموجهة نحوها.

أما اليوم فالكل جبان لا يجرؤ على دعم الصوت المرتفع، وقد تترك الموهبة لتصارع وحدها خوارزميات لا تكافئ دائما الجودة، بل تكافئ السرعة والإثارة وقابلية الانتشار.

لهذا أعتبر الاحتفاء بمئوية معين بسيسو تذكرة بزمن كان للشعر فيه وزن، يوم كان للكلمة سلطة، وللشاعر مكانة تتجاوز حدود بلده.

الأصوات موجودة، والقصائد تُكتب كل يوم، والوجع العربي واحد لم ينته، ربما ما ينقصنا هو أن نعيد الإصغاء، وأن نمنح الكلمة فرصة لتعلو وتؤثر أكثر وأن نؤمن بأن الأمة التي أنجبت أولئك الشعراء لا تزال ولادة، وهي قادرة – إذا استعادت اهتمامها بالثقافة – على أن تنجب أصواتا جديدة يسمعها العرب من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق.